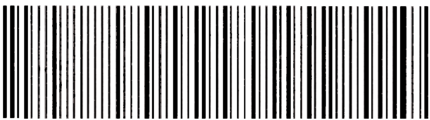
بين الراكب والماشي

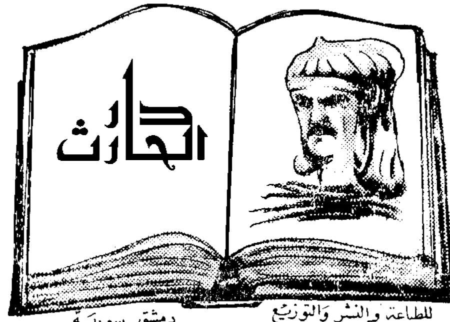
عزيز نسين



ترجمة
أحمد ابراهيم



للطباعة والنشر والتوزيع دمشق سورية



بين
الراكب والماشي



الكتـــاب : **بين الراكب والماشي**
المـؤلف : عـزيز نسـين
المترجـم : أحمـد إبراهيـم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسـخة

دار الحارث
للطبـاعة والتوزيـع والنشـر
سوريا ــ دمشق
ص.ب ٤٩٤٤ هاتف ٦٣٣٠٤٣٨

رسم الغلاف : رلا محفوض
الخطـوط : عبد الرحمن الخطيب
إشـراف : مـريم خيـر بـك

مطبعة ابن حيان
☎ ٦٤١٧٧٩٤

مقـدمة

في أول يوم أدركت فيه أنني أصبحت قادراً على قراءة الكتب باللغة التركية بشكل لابأس به ، كانت كتب ناظم حكمت وعزيز نسين في رأس قائمة الكتب التي كنت متشوقاً لقراءتها • ولهذا فقد كانت فرحتي كبيرة جداً عندما تسنّت لي فرصة اللقاء الكاتب عزيز نسين الذي كنت متشوقاً للحديث معه • تحدثنا يومها عن كتبه التي ترجمت إلى اللغة العربية ، وعن رغبتي بترجمة بعض كتبه وعن الخطاب الذي وجهه إلى المثقفين السوريين في كتابه « نحن المثقفين الخوافين » •

أحببت الآن وبعد ترجمة مختارات من قصصه أن أكتب عن عزيز نسين الكاتب والإنسان • الكاتب الذي كتب وكتب حتى فاق عدد كتبه عدد السنين التي عاشها • حيث بلغ عـدد كتبه ٨٦ كتاباً ، إذا رُتبت فوق بعضها البعض فإنها ستكون أطول من قامته بكثير وهذا ما صرح به حين قال :

« لقد كتبت كتباً إذا رتبت فوق بعضها سيكون طولها أطول من قامتي بكثير ، ومع ذلك سيقول الذين لا يحبونني ، كم هو قصير هذا الكاتب » •

مع العلم أنه لم يتسن له نشر كتبه إلا بعد أن أصبح في الأربعين من عمره •

أما عن حياته الصحفية ، فسنترك الكاتب عزيز نسين يتحدث عنها :

« كنت في (كارس) ما بين عامي ١٩٤٠ ــ ١٩٤٣ ، وأنا في الجيش كنت أكتب الشعر والقصة ، ولكن الكتابة في الجيش أمرٌ غير مرغوب فيه ، ولهذا كتبت باسم مستعار ، وكان هذا الاسم هو عزيز نسين • نشرت أولى قصصي في مجلة (مِلّلت) اليمينية، وفي الحقيقة وعلى الرغم من أنها كانت يمينية فقد كانت جيدة • وقد بدأت بنشر أشعاري منذ عام ١٩٣٧ في مجلة « يدي گون » (الأيام السبعة) ، وبعد ذلك أصبحت أنشر أشعاري وقصصي في هذه المجلة • وكنت أوقع تحت قصصي باسم عزيز نسين وتحت أشعاري باسم « بديعة نسين » وعندما دخلت إلى السجن عام ١٩٤٤ فصلت من الجيش ، وبعد ذلك أتيت إلى استانبول وراسلت الجرائد والمجلات • ولكن لم يستجب لرسائلي إلا سادات سماوي فبدأت الكتابة في صحيفته (يدي گون) » •

هذا ما كتبه عزيز نسين عن نفسه • ومن تتبع خط حياته نعلم أنه صار يدير صحيفة « كاراكوز » • وفي عام ١٩٤٥ يكتب المقالات والمقابلات لتنشر في جريدة « تان » • وفي ٤ كانون الثاني ١٩٤٥ تغلق جريدة تان فيصدر مجلة باسمه ولكنها لا تدوم أكثر من ثمانية أسابيع • ليبدأ بعدها بالعمل في جريدة « وطن » مع إصراره على إصدار جريدة باسمه • في عـام ١٩٤٦ أسس بالاشتراك مع

صباح الدين علي مجلة « ماركو باشا » وقد انتشرت هذه المجلة بشكل واسع حيث كانت مبيعاتها تقدر بنحو ٦٠ ألف نسخة • وتغلق هذه الجريدة أيضاً إثر مقالة يكتبها ، منتقداً فيها أسس ترومان حيث يبين أن هذه الأسس التي تنص على إعطاء قروض لتركيا ستحول العلاقة الأمريكية ــ التركية إلى علاقة مستغَل بمستغِل ، ويعتقل عزيز نسين إثر ذلك وينام في السجن عشرة أشهر • وبعد أن أغلقت مجلة ماركو باشا ، أسس صحيفة باسم « معلوم باشا » ومن هنا تبدأ مراقبة عزيز نسين واعتقاله من جهة، وفي نفس الوقت إصداره للمجلات بأسماء مختلفة • تغلق « معلوم باشا » ويؤسس « مرحوم باشا » وبعد إغلاقهـا يؤسس « علي بابا » وبعدها بالترتيب « باشانا » ، و « ماركو باشا الحر » • وأخيراً يؤسس مجلة « مدد » • وفي عام ١٩٥٠ يعتقل وينام في السجن مدة ١٦ شهراً إثر ترجمته لكتاب « المبادىء الأولية في الفلسفة » للكاتب جورج بوليتزر • أي في عام ١٩٥٠ • وعندما كان عزيز نسين في التاسعة والعشرين من عمره وحتى عام ١٩٩٠ كان مجمــوع السنين التي أمضاها في السجن خمس سنوات ونصف •

بعد هذا الموجز عن فترة من حياة الكاتب الساخر نسين نجد أنه كان يعيش وبعد ذلك يكتب ، فلم يبن لنفسه بيتاً من العاج كي يراقب الناس منه بل كان كاتباً مناضلاً عاش طيلة حياته وهو يدافع عن حرية الكلمة • وظل قلمه يكتب طيلة حياته ولم يتوقف إلا بتوقف قلبه •

(المترجم)

حكاية صينية

في يومٍ من الأيام تلقى أحد أفراد الأمن السياسي واسمه سو ــ تيانغ الأمر التالي :

ــ سو ــ تيانغ ، افتح أذنيك وعينيك جيداً ، سأكلفك بمهمة في غاية الأهمية ، ربما تعتبر من أشرف المهام التي قمت بها خلال خدمتك كلها . طبعاً هذا إن أديتها بنجاح .

سأل سو ــ تيانغ دون أن يرفع نظره عن بوطه القديم :

ــ هل سأحصل على مكافأة لقاء ذلك يا سيدي ؟

ــ طبعاً ... إذا نجحت بتحقيق المهمة على أكمل وجه، ستنال مكافأة قدرها ثلاثة آلاف ين . والآن افتح أذنيك واصغ جيداً .

بدأ رئيس الأمن السياسي بشرح المهمة دون توقف ، ولكن سو ــ تيانغ لا يبدو أنه يفهم شيئاً ، لأن الثلاثة آلاف ين قد ملكت عقله وقلبه . ثلاثة" آلاف ين ــ كعددٍ ــ شيء" مهم" جداً ولكن عندما تذهب إلى السوق لا يُعد شيئاً يذكر .

على كل حال سيقوم سوــ تيانغ بمهمته ، ولكن ثلاثة آلاف ين قليلة جداً .

ــ سأل الرئيس :

ـ هل حضرت إلى الدورة التي أقامها خبير الاستخبارات السرية الأمريكية جاك توفل ؟

ـ هـه ••• !!

قال الرئيس مرةً أخرى :

ـ الخبير الأمريكي •

ـ آ ••• نعم نعم ••• وأخذتُ المرتبة الأولى على الدورة•

ـ ولهذا أثق بك كثيراً • اسمعني جيداً يا سو ـ تيانغ ، سنعتني بمكياجك لكي تتنكر بثياب متسول • وستمارس مهنة التسول من الصباح إلى المساء ، في الزاوية المقابلة لبناية كبيرة ذات لون برتقالي ، في شارع بو ـ كونغ ، هل تفهمني ؟

ـ أفهم يا سيدي ، لن يكون من الصعب عليّ التنكر بهيئةِ متسول •

ـ ستراقب الداخل إلى هذه البناية والخارج منها • وسأنتظر منك تقريراً كل مساء •

ـ أمرك سيدي •

ـ بدّل سو ـ تيانغ هيئته وأجرى مكياجاً ناجحاً لوجهه ، حتى ليقول الناظر إليه للوهلة الأولى « إن هذا الرجل متسول" أباً عن جد ، حتى لو بحثوا في أرجاء الصين لن يجدوا متسولاً أنجح منه » •

في أول يومٍ بدأ فيه التسول مرّ رئيسه بجانبه ، همس له وهو يضع بين يديه قطعة نقدية :

ـ أهنئك يا سو ـ تيانغ ، لو لم أعطك هذا الدور بنفسي لأقسمت بأنك متسول حقيقي .

في اليوم الأول لممارسة سو ـ تيانغ لمهنة التسول لم يستطع أن ينفذ مهمته الأمنية ، وذلك لأن وقته ذهب في جمع النقود التي وضعت بيده أو رميت أمامه . يا الله ... ما أكثر محبي الخير وما أكثر المساعدة في بلدٍ فقير كهذا . لقد وضع سو ـ تيانغ أمامه منديلاً وجلس في الزاوية ، ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى امتلأ المنديل بالنقود .

لقد دهش سو ـ تيانغ ، حيث إنّه استطاع أن يجمع عن طريق التسول وخلال ثلاثة أيام ، ما كان يجمعه خلال عمل شهر بأكمله في الشرطة حتى لو عمل ليل نهار .

وفي صباح أحد أيام الأسبوع الثاني من بدء سو ـ تيانغ بمهنة التسول ، جاء إلى أذنه صوتٌ خفيفٌ يقول :

ـ سو ـ تيانغ ، لم تقدم إلى الآن أي تقرير .

ـ رفع المتسول رأسه بخوف نحو رئيسه وقال :

ـ الله يرضى عليك ... الله يوفقك ... غداً مساءً سأحضره ، اعطفوا على الفقراء يا أصحاب الرحمة ... سأقدم تقريراً يا سيدي ... صدقة للمحتاجين وللفقراء ولليتامى .

فقال الرئيس رداً على هذه الرسالة الرمزية التي لم يستطع أحد من الذين يرمون نقودهم بيد المتسول فهمها :

ـ أنتظر تقريرك .

تسول سو ـ تيانغ قرابة الشهر ، ولم يكن يفكر بأنه سيجمع كل هذه النقود خلال هذه المدة القصيرة • كما أن لهذا العمل امتيازات كثيرة فهو ، بالإضافة إلى النقود التي يجمعها المتسول خلال مدة وجيزة ، يتمتع بالاستقلالية والحرية « إن أردت تعمل وإن أردت لا تعمل » •

ولهذا وصل سو ـ تيانغ إلى قرار سريع ، ففي صباح أحد الأيام ذهب إلى مكتب الرئيس •

سأله الرئيس :

ـ هل وصلت إلى نتيجة مهمة بعد غيابك الطويل كل هذه المـدة •

ـ نعم يا سيدي ••• تفضل هذا تقريري •

بعد أن قرأ الرئيس الورقة التي أعطاه إياها سو ـ تيانغ تحول لونه من صفرة الليمون إلى بياض الحليب • إذ أن تلك الورقة كانت تتضمن طلب استقالة سو ـ تيانغ من الشرطة السرية •

قال الرئيس :

ـ هل جننت يا سو ـ تيانغ ، لم يبق على تقاعدك إلا القليل، كيف تهدر حقوقك في العمل بهذه السهولة ؟!!•

قال سو ـ تيانغ :

ـ لا يهمني يا سيدي ••• سأهدرها •

ـ شخص صاحب تجربة مثلك ••••

ـ ليكن ... سأهدرها .

وضع الرئيس يديه على كتفي سو ـ تيانغ ونظر إليه نظرة رجلٍ خبير في الشرطة السرية محاولاً استقراء ما يفكر به ... وقال :

ـ لا تستطيع أن تقنعني يا سو ـ تيانغ ، لابدّ أن هناك أمراً ما .

نظر سو ـ تيانغ إلى رئيسه نظرة خوف ، وبعد ذلك مدّ يده إلى جيب بنطاله وأخرج منه دفتراً كتب فيه ما جمعه من نقود خلال أيام التسول ، كل يومٍ على حدة وبشكل مفصل .

ـ إنني أطلعك يا سيدي على سر مهنتي ، لأنني وبفضلك أنت جمعتُ كل هذه النقود ، ولو لم تكن أنت سببها لما رأيتها أبداً . كما أرجو أن لا تخبر أحداً من الأصدقاء بهذا السر .

نظر الرئيس إلى سو ـ تيانغ نظرة حب وقال :

ـ أرجوك يا سو ـ تيانغ أن تبقي هذا الأمر سراً بيننا ، لأنني سأبحث في أحد الشوارع المزدحمة عن زاوية وأجلس فيها كي أبدأ ممارسة المهنة نفسها .

أو . . و . . وه يا سلام

ـ يا سيدي المفتش ... ليس لدي ادعاء .

ـ ماذا لديك ؟.. قولي يا ابنتي .

ـ البارحة مساءً أحد الشبان..عمل لي..ماذا سأقول ؟.. أشعر بالخجل .

ـ تكلمي يا ابنتي تكلمي .

ـ البارحة مساءً ... أحد ... الشبان .

ـ ماذا حصل ؟.

ـ البارحة عندما كنت أتمشى في البي أوغلو أتى إلى جانبي ...

ـ وبعد ذلك .

ـ وبعد ذلك يا سيدي قال : هيا نتمشَ .

ـ نعم ...

ـ تمشينا .

ـ فعلتم خيراً .. وبعد ذلك ..

ـ بعد ذلك أخذني إلى السينما .

ـ إي ي ي ...؟

ـ بعد السينما أخذني إلى المطعم .

ـ جيد •• وبعد ذلك ؟

ـ هناك تناولنا الخمر •••

ـ وبعد ذلك •••

ـ قلبي أبيض مثل الثلج يا سيدي المفتش ، ليس بداخلي أي سوء نيّة ••• أخذني إلى حديقة (صازلي) وهناك أشربني الخمر أيضاً •

ـ وبعد ذلك •

ـ وبعد ذلك انتصف الليل •• خرجنا من الحديقة ، أركبني سيارة وأخذني إلى كازينـو في البوغاز ، وهناك أيضاً أشربني الخمر ، إنني فتاة شريفة يا سيدي المفتش ، بعد ذلك أخذني إلى الفندق ، ليس لدي أي سوء نيّة يا سيدي المفتش ، وبعد ذلك أدخلني إلى غرفته في الفندق •

ـ إي ي ي •••

ـ وبعد ذلك غازلني وداعبني و •• قبلني •••

ـ إي ي ي •••

ـ ثم قال لي تعرّي ••• أنا لا أعرف شيئاً ، تعريت ••• وهل يأتي إلى عقلي أشياء كهذه ••• و ••• بعد ذلك وضعني على السرير •

ـ إي ي ي •••

ـ أتى ••• واستلقى بجانبي •

ـ والآن يا ابنتي ماذا تريدين ؟

ـ يا سيدي لقد .. وسّخ شرفي .. أنا مدّعية عليه .
ـ ما اسمه ؟..
ـ لم أسأله .. وسّخ شرفي .. أنا مدّعية عليه .
ـ ما اسمك ؟
ـ معلّا .
ـ أوووه ... يا سلام .



كم من المراهقين يقعون في هذه المشكلة ، وكم مراهق يعيش في السجون ، لماذا ؟!!.. لأن الفتاة المؤدبة الشريفة اتسخ شرفها . وما الذي كان عليه أن يفعله ؟!.. هل ينظفه أم يجعله يتسخ ومن ثمّ ينظفه ؟..

أين كان عقل هذه الفتاة حتى تركت الأمور تصل إلى هذا الحد ؟... مثل تلكم الفتيات هل يجلسن أمام الشيطان ويأخذن دروسهن أم أن هذه الطريقة هي الشكل الأخير لإيجاد العريس ؟.

إننا نقرأ في الجرائد وبشكل مستمر عن هؤلاء الشبان الذين يقعون بمشاكل من هذا النوع . لقد رأيتم البارحة على صفحات صحيفتنا فتاة عارية..أليس كذلك؟..وقد كتبوا عنها ثلاثة أعمدة في الصحيفة .. الفتاة المؤدبة الشريفة مستلقية على ظهرها ولو لم تتصلب يداها على صدرها وتضم رجليها لبعضهما البعض لظهر كل شيء ، المهم أن ما تبقى ظاهر للعيان . انظر إلى هذه الفتاة المسكينة لقد خدعها أحد السياسيين الكبار .

اغتصبني بالإكراه ••• لدينا حكمة تقول : « العين موجودة والعقل موجود »•••

من أجل الله أيها المشاهدون انظروا إلى إغراءات هذه الفتاة الشريفة ، وإلى السياسي ، وقولوا : من اغتصب من ؟••• ولو نظرتم بدقة لأدركتم بأنه إن كان هناك قضية اغتصاب تكون الفتاة هي التي اغتصبت السياسي •

اسألوا الفتاة عن اسمها •

ـ ما اسمك ؟

ـ معـّلا •

ـ أووره ••• يا ملام •

من المؤكد أن سياسياً كبيراً كهذا لن يصيبه أي أذى ، ولكن قد أكون أنـا وقد تكون أنت مكانه ••• ونكون أكلناها على الطرفين ••• فمن جهة تغتصبنا بهذه المغريات وهذه العروض • ومن جهة أخرى تقول اغتصبوني وتتشوه سمعتنا •

آه •• يا ولدي •• آه

قالوا :

ـ إن ابن أخيك هو الأول في صفه •

فقلت :

ـ يا سلام ما شاء الله •• لقد فرحت لهذا الخبر •

طفل جميل ومؤدب ونظيف ونظراً لكونه في الصف الثالث الإعدادي يجب أن يكون عمره نحو ١٥ ـ ١٦ عاماً • لقد تخطى كل صف بامتياز • من جهة أخرى فهو الأول على صفه دائماً •

قالوا :

ـ اسأله بعض الأسئلة •

فعلاً في هذه الدنيا يوجد بعض الأشخاص الذين لايقدرون المواقف ، لا أعرف بالضبط من سيمتحنون أنا أم هذا الطفل •• ماذا سأسأله ضمن هذه المجموعة من الناس ؟•• يريدون أن أسأله وذلك ليفرح أعمامه وأخواله وخالاته وعماته •

أردت أن أختزل الموقف بكلمات فقلت :

ـ من الواضح جداً أنه سيجيب على كل الأسئلة ، ماشاء الله، واضح من عينيه شدة ذكائه • ولكنهم تصلبوا بموقفهم •

ـ لا •• لا •• نرجوك أن تسأله ••

يا إلهي ماذا سأسأله ؟•• إن لم يعرف الإجابة على الأسئلة سأخجل منه كثيراً • سأسأله سؤالاً بسيطاً من التاريخ •

ـ من همـا الفريقان اللذان تقاتلا ضـد بعضهما في حرب الملازغيرت •

ـ ماذا ؟!

ـ ملازغيرت •••

ـ ملازغيرت •••••

ـ سأسألك سؤالاً آخر عن إستانبول •

ـ فقال الطفل :

يا سيدي هذه السنة لم يأت إلينا مدرس التاريخ ، لقد حضر في بداية السنة عدة دروس وبعد ذلك قدم استقالته •

ـ ألم يأتِ بدلاً منه ؟!!•

ـ كلا •

ـ ودروس التاريخ كيف مضت ؟

ـ كانت كلها دروس فراغ •••

قالت أمه :

ـ اسأله من مادة أخرى •••

احمرّ وجه الطفل وتصبب عرقه •

ـ إنك تعرف قضية فيثاغورث •

ـ أية قضية ؟!

ـ فيثاغورث ...

ـ يا سيدي .. منذ متى حدثت ؟ هل حدثت منــذ قديم الزمان ، أنا لا أعرف سوى قضية المهرب روبن أحيا .

ـ قضية فيثاغورث في الهندسة .

أأأ ... لم نقرأ هذه السنة هندسة .

ـ لمــاذا ؟!...

ـ لقد عـُيـّن أستاذنا في مكان آخر .

ـ ومن أتى بدلاً عنه ؟..

ـ أحدهم جــاء ولكن لم يكن معلماً ، كان عمله الأساسي صيدلانياً على ما أظن ، ولم يأت إلى أي درس . فقال والده :

ـ لم لا تسأله سؤالاً آخر .. من مادة أخرى ؟

ـ أريد فقط أن يجيب على سؤال واحــد كي ينقذ نفسه وينقذني .

ـ ما هي أكبر دولة في أوربة ؟.

ـ هل تسألني في الجغرافيا ؟.

ـ نعــم ...

ـ أ أ أ ... نحن لم نقــرأ الجغرافيا إلا القليل ، لم يأتِ المدرس إلا في نهاية العام .

فقالت امرأة مسنة :

ـ اسأله عن مكان آخر ..

ـ هل تعرف توفيق فكرت يا ولدي ؟

ـ فكرت الكبير أم فكرت الصغير ؟! أنا أعرف الاثنين في

فريق فنار بهشه بكرة القدم .

ـ الشاعر فكرت ...

ـ أ أ أ ... نحن لم نقرأ أدباً تركياً ، كانت معلمتنا حبلى وولدت توأمين .

ـ والدروس ؟!..

ـ فراغ ...

هل تعرفون وضع تلامذتنا في المدارس ؟ لقد أتت نهاية السنة ونسبة النجاح ٣ ـ ٥٪ ومثل كل عام ستضج الناس وتقلب الدنيا رأساً على عقب وكل شخص يحمل المسؤولية للآخر . وكلما جاء وزير تربية جديد يضع قوانين جديدة من أجل زيادة نسبة النجاح ..

التكميلية ، النجاح النسبي ، نظام الفصلين ، وإذا لم يتحسن الطالب ليكن ثلاثة فصول وغيرها .

وكما يبدو أن كل هذه التدابير لم تنفع ولذلك سرقت الأسئلة من البريد في السنة الماضية . وحرصاً على عدم تسرب الأسئلة اتخذ التدبير التالي « المدارس هي التي ستحضر الأسئلة » ولا أعتقد بعد ذلك أن نسبة النجاح سترتفع .. ولذلك وبما أن البلد يحتاج للكثير من المتعلمين فمن الأفضل « أن يحضر الطلاب الأسئلة ويقدموها للمتعلمين كي يجيبوا عليها » وبذلك نكون قد أضفنا معملاً جديداً للمعامل التي تقام في هذا البلد وهو « معمل تخريج المتعلمين » .

لا .. لن أقول اسمه

كم هـو محرج أن تجلس إلى نفس الطاولة مـع أشخاص لا تعرفهم ...

دعاني وزوجتي أحد جيراننا المقربين إلى طعام الغداء . كان الموقف صعباً ، حيث جلسنا وكنا إثني عشر شخصاً من ثلاث أسر، وكلنا جيران في حارة واحدة ، ونسكن في أبنية متعددة . كان صديقي هو صلة الوصل بيننا ، حيث كنا نعرفه جميعاً . ولكننا لم نتعارف فيما بيننا ، ومع هـذا فإن جارنا العزيز ـ ومع كل أسف ـ لم يحاول إثارة حديث ليتم التعارف بيننا .

كان الشخص الجالس إلى يساري يحـاول إثارة الحديث ، وكان دافعه إلى ذلك إما حسن النية أو لأنه يحب الكلام كثيراً . وعندما كان يجد أن الموضوع الذي يناقشه لا يثير انتباهنا كان يدخل على الفور في حديث آخر ، كأنه يقفز من غصن إلى غصن.

في البداية حاول الكلام وبشيء من الغموض عن امرأة كانت تخون زوجها ...

في الحقيقة مواضيع كهذه ـ أي الخيـانة بين الزوجـين ، وخصوصاً خيانة الزوجة لزوجها ـ تثير الانتباه ، وتكون مشوقة. ولكننا لم نشارك بالحديث ، لأننا لا نعرف المرأة التي يتحدث

عنها . وعندما لم يجد الرجل المحب للكلام أية رغبة من جانبنا في الاستماع انتقل إلى موضوع آخر يتعلق بغلاء أسعار السمك، مع العلم أن مياه البوغاز مليئة بالسمك . ولكن هذا الموضوع أيضاً لم يثر انتباهنا . وهكذا كان ينتقل من موضوع إلى آخر .. من المرأة الخائنة ، إلى السمك ، إلى ازدياد عدد اللصوص في هذه الأيام ، إلى شعراء أيام زمان ... إلى الحادث الذي حدث له بسيارته ... وهكذا ...

وفجأة صرخ قائلاً :

ـ إنها وقاحة فعلاً ..

فسأله صاحب البيت :

ـ ماذا جرى ؟...

ـ هه ... ألم تسمعوا ؟!.. لقد اشترى لولده سيارة خاصة ، مع العلم أنه يملك سيارة ، وزوجته أيضاً تملك سيارة . ما معنى أن يشتري سيارة لولده الذي مازال في الثانوية ؟!..

قال صاحب البيت :

ـ عمن تتحدث ؟.

ـ اسمه ليس مهماً . إنه يسكن بجوارنا .. رجاءً لا تحاولوا ... لن أصرح لكم باسمه .

همست زوجتي بأذني :

ـ لاشك أنه يتحدث عن حقي بيك .

فقلت لزوجتي :

ـ حقي بيك لا يملك ثلاث سيارات ، لديه سيارتان فقط .

ـ لاشك أنه اشترى الثالثة .

فقال الرجل المحب للكلام :

ـ لو لم تكن ابنته صغيرة لكان قد اشترى لها سيارة ، ولكنها لم تزل في الثالثة عشرة من عمرها .

فقالت زوجتي لي :

ـ إذاً .. لا يمكن أن يكون حديثه عن حقي بيك . أظن أنه يتحدث عن لمياء ... فقال الرجل المحب للكلام :

ـ لو كان الموضوع يتعلق بالسيارات فقط لما أعطيناه أية أهمية ، لكنه بالإضافة إلى ذلك فهو يقوم ببناء بناية في أنقرة من ستة طوابق ، وكأن الشقة التي أخذها في الحربية لا تكفيه . ما هذا يا ...؟ إن الموظفين الذين بمنصبه لا يستطيعون دفع إيجار بيتهم إلا بصعوبة .

قال أحد الضيوف :

ـ إذاً ... هذا الرجل يسكن هنا أليس كذلك ؟

ـ نعم ...

ـ آ ... من هو ؟ لقد تشوقت لمعرفته .

ـ لا لا ... لن أقول اسمه لأنني إذا قلت اسمه فسيكون حديثنا نميمة .

فقالت زوجتي لي :

ــ إن كان موظفاً فعلاً كما يقول فمن المؤكد أنها ليست لميـاء ، هل من المعقول أن يكون بصري بيك ؟.

ــ إنه لا يفرق بين فقير وغني ، يأخذ رشوة من كل شخص ، ولو أنه يأخذ رشوة من الأغنياء فقط لما قلنا شيئاً .

فسألته سيدة :

ــ لقد تشوقت كثيراً يا أخي ، من هو هذا الرجل ؟.

ــ اسمه لا يهم ، ولكنني أستطيع القول إن لون سيارته بيج وسيارة زوجته بلون الكرز .

وبدأ الضيوف الذين يجلسون على الطاولة بالتهامس فيما بينهم ، وهم يحاولون حل هذه المشكلة ليعرفوا من هو هذا المرتشي ..

ــ السيارة التي اشتراها لولده شوفرليه ، لونها أصفر .. أصفر فاتح .

ومن جديد مال الموجودون إلى بعضهم واقتربت الأفواه من الآذان .

ــ ماذا سيحدث لو قلت اسمه يا سيد ؟.

ــ اعذروني لن أقول اسمه ... هل تعلمون لماذا يبني بناية في أنقرة ؟.. كي تكون بعيدة عن عيون الناس ... وكأن عيون الناس لا ترى وآذانهم لا تسمع .

لقد حصل على كل هذه الأموال في غضون ثلاث أو أربع سنوات ، وقبل ذلك كان يستدين المال من هذا وذاك ... حتى

انه استدان مني شخصياً بعض النقود ، وإلى الآن لم يعدها لي ٠٠ لم أرَ وقاحة بهذا الشكل ٠٠٠ لقد سجل بيت الحربية وبناية أنقرة باسم زوجته كي يبعد الشبهات عنه ، ويظهر للناس أن هذه الأشياء ورثتها زوجته عن عائلتها وكأن الناس لاتعرف زوجته ، مع العلم أن كل شخص يعرف أنه تزوجها من البار حيث كانت تعمل هناك ، أي أنها زوجة كل الناس ٠

ومن جديد تقاربت الرؤوس من بعضها ومن جديد سلّطت الأفواه على الآذان ، وزوجتي أيضاً اقتربت مني وقالت :

ـ سليم بيك يوجد عنده ولد ولكن لا يوجد عنده بنت ٠

كان كل شخص يحاول معرفة هذا الرجل وكأننا نحلّ أحجية ٠٠ قالت إحدى النساء الموجودات :

ـ سأنفجر من تشوقي لمعرفة هذا الرجل ، ماذا يحدث لو صرّحت باسمه ؟٠٠٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ لن أقول ٠٠ رجاءً لا تحاولي ٠٠ إنه زوج المرأة التي حدثتكم عنها ٠٠٠ المرأة التي خانت زوجها ٠

وعاد الضيوف إلى التهامس بعد حصولهم على طرف خيط جديد لحل الأحجية ٠

ـ ومن يصدق بأن امرأة كهذه ستترك لها أمها ميراثاً بهذا الحجم ؟٠ الذين يعرفون أمها كثيرون ، فقد كانت تضع الألبسة ضمن صُرّة وتطوف البيوت لبيعها ٠ كما أن سيرة والديها سيئة

للغاية ••• والآن تملك سيارة من أحدث طراز • ولدها أشقر مع العلم أن أمه سمراء وأباه أسمر غامق •

همست زوجتي :

ـ الآن علمت ، إنه يتحدث عن هاندان وزوجها •

قال الرجل الكثير الكلام :

ـ الشعر أسود ممزوج بالأبيض والعمر جاوز الخمسين •

ـ زوجته ؟!••

ـ كلا ، زوجها ، والزوجة في الأربعين من عمرها ، إنها بدينة جداً وقصيرة •

إحداهن لم تحتمل فصرخت بفرحٍ لأنها حلت الأحجية قالت :

ـ ها ••• إنها أيتان •• أقسم أنها أيتان •

ـ وعندها قال محب الكلام :

ـ أظن أنها تصبغ شعرها بالأحمر •

قالت المرأة التي فرحت منذ قليل بأسف :

ـ إذاً ليست هي •• وعادت إلى التفكير من جديد •

ـ بحق الله قل من هي •••

ـ لا •• لا •• ليس هذا من طباعي ، ثم إن اسمها ليس مهماً بالنسبة لنا • كلكم تعرفونها ، لا يوجد ضرورة لمعرفة اسمها • إنها قريبة أحد الوزراء الذين كانوا مشهورين منذ فترة ، لكنها قربة بعيدة ، إنه رجل" جمع في طبعه سيئات كثيرة ، فقد كان يعمل

سمسار محبة ، ولكن في أعلى المستويات ••• ولهذا كان له موقع حساس بين أفراد الطبقة المخملية ••• كان يعتني بلباسه إلى أقصى حد ، لم يكن يفرق بين شتاء وصيف ، حتى إنه كان يضع ربطة عنق مهما كان الجو حاراً وكان يلمع حذاءه بشكل مستمر •

كان محب الكلام يجلس وكأنـه يقول : « ألم تعرفوه إلى الآن ؟ » •

كنا متشوقين لمعرفة هذا الرجل إلى أقصى درجة ، ولكنه كان يقول دائماً :

ــ رجاءً لا تحاولوا ••• أقسم لن أقول اسمه ، أرجوكم لا تضغطوا عليّ •

ــ إذاً •• قل لنا على الأقل هو قصير أم طويل ؟•

ــ ليس طويلاً ، إنه قصير، ولهذا كان يحرص على أن تكون معظم ألبسته مخططة بخطوط طولانية •

وكلما كانت تزداد عبارات « الآن عرفنا » كان محب الكلام يضيف شيئاً جديداً يبين لهم بعده أنهم ليسوا على صواب •

ــ ويقال أنه من أصحاب السوابق ، وقد دخل السجن في زمن ما ، وحوكم بتهمة الغش أو الخداع، لست أدري، وقد خرج من السجن عندما صدر قانون العفو • المهم باختصار إنه رجل مليء بكل أصناف الوقاحة والسوء •

بدأ غضبه يزداد شيئاً فشيئاً لأننـــا لم نعرف الرجل الذي يتحدث عنه ويصر على كتمان اسمه خشية أن يتهم بالنميمة .

ـــ إنه يسكن في الطابق الثالث من بناية مؤلفة من أربعـــة طوابق وتقع في زاوية مقابل البقالية ... البناية مطلية بالموزاييك حتى أن حديقة البناية مليئة بالعشب الأزرق .

عندها ضرب الجميع كفاً بكف وصرخوا بصوت واحد وبفرح عظيـــم :

هـــاه ... إنه شاكر بيك وزوجته سلمى .

قال محب الكلام : ألم أقل لكم ... اسمه غير ضروري .. لا تضغطوا عليّ .. لا لن أقول اسمه ...

لتنقذ البشرية

قال الشرطي :

ـ لقد أخرجنا المرأة المنتحرة من البحر وأحضرناها إلى هنا •

قال المحقق :

ـ وهل عاينها الطبيب ؟!

ـ نعم • وقد ذكر تقريره بأنها ليست بحاجة للعلاج •

ـ حسناً •• أحضروها إلى هنا •••

ودخلت المرأة غرفة المحقق وثيابها مبللة وأثر الأشنيات على شعرها •••

قال المحقق :

ـ ما اسمك ؟!

ـ بديعــة •••

ـ عمركِ ؟

وبعد قليل من التفكير قالت المرأة :

ـ تسع وعشرون ••

ـ هل أنتِ متزوجة ؟••

ـ تقريبــاً •••

ـ يا سيدة •• هل أنت متزوجة أم عازبة أم مطلقة ؟!•

ـ اكتبْ متزوجة •

ـ ما هي أسباب انتحارك ؟!

ـ وهل هناك أسباب للانتحار ؟! فقط أردت الموت فرميت بنفسي في البحر ، ليس هناك من أحد مسؤول عن انتحاري •

ـ طيب ••• ولم أردت الموت ؟!

ـ ••• أف ••• إنها حياتي أليس كذلك ؟! إن أردت الموت أموت • وإن أردتُ أعيش ••

لكنّ المحقق الخبير أدرك أنها لاتقول الحقيقة فسألها ليجبرها على الاعتراف :

ـ أم أنّكِ أردت شيئاً ما من زوجك •• ولم يحضره لك •• فقذفت بنفسك إلى البحر ••

ـ وما علاقة هذا بهذا ؟!••

ـ هل يوجد هناك يدٌ أخرى في الموضوع ؟!

ـ أف ••• وأي يدٍ هذه ستكون ؟!

ـ أية يدٍ غريبة على سبيل المثال ••

ـ كلا •••

ـ فهمت • لم يسمح لك زوجك بالذهاب إلى مكان ترغبين بالذهاب إليه فقلتِ وهل هذه الحيـاة تستحق أن تُعاش ؟•• فرميت بنفسك في البحر •

ـ أقول لك •• هذا غير صحيح •

ـ هل دخلت الغيرة بينكم ؟•

ـ آه ••• سأنفجر مثل قنبلة •••

ـ هل زوجك مسنٌ ؟•

ـ إنه شاب •

ـ أهـو من ذوي الدخـل المحـدود ؟• أهـو موظف في مكانٍ ما ؟!•

ـ متعهد •

غضب المحقق •

ـ يا سيدة •••• إني أعمـل محققاً منذ أكثر من خمسةٍ وعشرين عاماً وربّما أكون قـد حقّقتُ في أكثر من خمسمائة محاولة انتحار ، كل محاولات انتحار الزوجات سببها إما لأن زوجها لم يسمح لها بالذهاب إلى السينما أو أن زوجها قال لها : لا تكثري من وضع المكياج على وجهك • أو أنها تريد فستاناً أو فراءً ••••

ـ أمان يا إلهي ، كم تحبّ الثرثرة ، سأقول لك كي ترتاح قليـلاً :

جاء زوجي في المساء فقلت : أريد طقمـاً « تيـور » هذا الموسم ، فقال : « كما تريدين » فقلت : أريده الآن ، هيا لنذهب إلى الخياط ، فقال : « كما تريدين » وعندما خرجنا من صالون الخياطة ، قلت : أريد حـذاءً ، فاشتراه لي • فقلت : أريد أن أتناول طعام العشاء في المطعم ، فقال : كما ترغبين • قلت : خذني إلى السينما فأخذني ، وعندما خرجنا من السينما قلت : أشعر بالملل ، خذني إلى البوغاز (البوسفور) فقبل • وعندما همّ بالخروج من البيت في الصباح قلت : « لا تذهب إلى عملك هذا

اليوم لأنّي أشعر بالملل » • فقال : « كما تريدين يا حبيبتي » • فقلت : « هيا اشترِ لي حلقاً » فاشترى لي الحلق بثلاثة آلاف ليرة • فقلت له : « أبدلها ، لم يعجبني موديلهـا » • فأبدلهـا بموديل آخر بعد أن دفـع ألفي ليرة زيادة • كلما طلبت شيئاً يقـول : « كما ترغبين حبيبتي » • وكلّما قلت شيئاً يقـول : « حسناً يا حياتي » إنها حياة على الصراط المستقيم ••• أهكذا تكون الحياة ؟!•

في هذه الأثناء ، جاء الزوج الذي اتصلوا به هاتفياً منذ قليل • قالت الزوجة : « لن أركب السيارة بهذا الشكل وبهذه الثياب مهما حصـل » • فقال الرجـل : « لا تحزني حبيبتي ، سنذهب من هنا إلى عند الخيّاط مباشرة » •

وصرخت المرأة بأعلى صوتها :

ــ أواه ••• أي عذاب هذا سيدي المحقق ؟!

ــ معك حق يا سيدتي ••• حسناً •••!!

وقّعت المرأة على محضر الضبط وخرجت مع زوجها •

وبعد ذلك أعطى المحقق أوامره للشرطي :

ــ عندما تحاول هذه المرأة أن تنتحر في المرة القادمة • اتركها تفعل ولا تنقذها ربما بذلك تنقذ البشرية ••

النمرة خمسة عشر

ركبت باص ازميت متوجهاً إلى بيرم أوغلو ، تبعد بيرم أوغلو عن كاضي كوي ستين كيلو متراً .

حان موعد انطلاق الباص ولكنه لم ينطلق مما أدى بالمسافرين إلى التهامس فيما بينهم ، قال أحد الركاب :

ـ لننتظر قليلاً ، فهناك ركاب لم يأتوا بعد .

وأخرج رأسه من باب الباص وبدأ بالصراخ للمسافرين أصحاب المقعدين الخامس عشر والعشرين .

ـ المقعد الخامس عشر ... المقعد العشرون ...

لاشك أن هذا الرجل المهتم بالمسافرين المتخلفين هو أحد موظفي الباص ، فإما أن يكون السائق وإما أن يكون المعاون أو قاطع التذاكر .

ـ المقعد العشرون ...

أحدهم كان يمسك سلة بيد وباليد الأخرى كيساً منفوخاً ، وكان يركض وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ، وقد احمرت رقبته كحبة بندورة ، صعدإلىالباص وجلس في المقعد ذي الرقم عشرين.

قال له الرجل الذي كان ينادي لركاب المقعدين مؤنباً :

ـ أليس من الأفضل لك لو أتيت في الموعد المحدد دون أن تجعل كل هؤلاء الناس ينتظرونك ؟..

فقال الرجل الذي احمرت رقبته ، وهـــو يلتفت إلى الوراء بكامل جذعه لأنه تعذر عليه الالتفات برقبته فقط وذلك لثخنها :

ــ وما علاقتك أنت ولَكْ ؟ لماذا تحب الثرثرة ؟!!

عندما سمع الرجل الآخر هذا الرد ، صمت بقهر ... ومن شدة قهره صاح بأعلى صوته على الراكب الآخر المتخلف :

ــ خمسة عشر ... خمسة عشر ... أين أنت ولك ... خمسة عشر ... « كان صوته يرعد في ساحة الكراج » .

قال أحد الركاب :

ــ هيا .. لينطلق الباص .

فقال الرجل الذي يصرخ :

ــ لم يمـــر سوى ثلاث دقائق على موعد الانطلاق ، ماذا يحدث لو انتظرنا قليلاً ؟..

وتابع صراخه :

ــ خمسة عشر ... خمسة عشر ....

جلس السائق في مكانه وأدار المحرك ، وهذا يعني أن الذي يصرخ ليس السائق ... تابع الرجل صراخه بصوت عال حتى ليخيل للمرء أن فمه سيتمزق :

ــ الرقم خمسة عشر ...

أغلق الباب الأمامي، وتحرك الباص من مكانه ، وأوشك على الانطلاق ، في هذه الأثناء جاء رجل مسرعاً جـــداً ، تعلق بالباب الخلفي وصعد إلى الباص وقد كاد يقـــع من الاهتزاز وهـــو

يبحث عن مقعده . وأخيراً جلس في المقعد ذي الرقم خمسة عشر . كان صدره يعلو ويهبط وهو يحاول التقاط أنفاسه .

أنّبه الرجل الذي كان يصرخ بقوله :

ــ ألم يكن من الأفضل لك لو أتيت في موعد انطلاق الباص دون أن تجعل كل هؤلاء الناس ينتظرون قدومك ؟..

فقال الرجل بخجل :

ــ معك حق ، أنا آسف ..

فقال الرجل متابعاً تأنيبه :

ــ ماذا تعني بكلمة أنا آسف ، بعد كل هذا الانتظار تأتي وتقول أنا آسف ، ما هذا يا .. ؟.

ــ ياإلهي .. لاأعلم ماذا سأقول ، إني أعتذر أشد الاعتذار.

ــ بأي حق تجعلنا ننتظرك كلنا ... آ ... بأي حق .

ــ فعلاً ليس لي أي حق ، إنني قمت بعمل معيب .

ــ على الانسان أن لا يغادر الباص بعد أن يأخذ تذكرته .

أقسم بالله أن الذي قمت به عمل غير مناسب ، أمضيت عمري وأنا آخذ احتياطاً لهذه المواقف ولا أغادر الباص الذي سأسافر به أبداً ، حتى أنني أحضر إلى الباص قبل موعد انطلاقه بكثير .

ــ لقد انتظرناك خمس دقائق .

ــ صدقني لأول مرة يحدث معي مثل هذا الموقف .

ــ الحق علينا نحن لأننا انتظرناك كل هذه المدة .

ــ معك حق ، لا أجد كلاماً أعبر به .

ـ كان علينا أن ننطلق لنرى ماذا سيحدث لك •

صمت المسافرون وهم يصغون إلى حديث الرجل المتخلف عن الباص والرجل الذي كان ينادي عليه . كان الرجل المتخلف عن الباص رجلاً في الخمسين من عمره نحيلاً ويلبس نظارات • هو كان يبحث عن كلمات جديدة يعتذر بها ، والآخر كان يتمادى بتأنيبه •

ـ يجب أن لا تركب مثل هؤلاء الناس في الباص ولا تنتظرهم ثانية واحدة ، يجب أن ينطلق الباص عندما يحين موعد انطلاقه •

ـ صحيح ، ولكن ماذا بإمكاني أن أفعل؟•• لقد حدثت هذه المرة ••• قلت لك يا أخي إنها المرة الأولى التي أتعرض فيها لموقف كهذا •

ـ لقد بح صوتي وأنا أنادي الرقم خمسة عشر ، الرقم خمسة عشر •

ـ آه ••• لا أدري لماذا تأخرت هذه المرة •

ـ أنادي ، أنادي ولا أحد يسمعني •••

ـ آه يا إلهي ••• معك حق ••• كل ما تقوله قليل علي ••

كان قاطع التذاكر يفتش على تذاكرنا وهذا يعني أن الرجل الذي كان ينادي ليس قاطع التذاكر ، إذاً لاشك أنه معاون السائق ، ولكن معاون السائق يقدم الماء للمسافرين • إذاً لاشك أنه صاحب الباص •

قطعنــا حوالي ثلاثــين كيلو متراً حتى وصلنا إلى توزلا ، والرجل الذي لم نعرف إلى الآن ما هي وظيفته في هذا الباص لم يزل ــ ومن دون إعطاء أي فاصل ــ يؤنب الرجل المتأخر عن الباص والآخر يقدم الأعذار ويدافع عن نفسه بكل خجل .

ــ كل إنسان منا عنده أعماله ... ومع ذلك جعلتنا ننتظر كل هذه المدة ... تفو ...

ــ أخ ... ماذا سأفعل ؟ ليت رجلي انكسرت ولم أفارق الباص لحظة واحدة .

ــ مادمت قد أخذت تذكرتك .. تعال واجلس بمكانك ...

ــ لم أتأخر سوى خمس دقائق ...

ــ يا سلاا ا ا م...يا سلام...وهل الخمس دقائق قليلة ؟.. كان يجب أن ننتظر أسبوعاً بأكمله ...

ــ وماذا أستطيع أن أفعل ؟ حصلت هذه المرة ...

ــ يقول حصلت هذه المرة ... عيب يا ... ألا تخجل من نفسك ، على الأقل يجب أن تسكت في موقف كهذا ...

صمت الرجل الذي غطس في مقعده من الخجل ، ولكن صوت الرجل الآخر ارتفع أكثر وأكثر :

ــ مادمت تعرف أنك لن تلحق بهذا الباص لماذا لم تحجز في الباص الذي ينطلق بعده ؟

قال هذا وانتظر برهة كي يسمع الجواب ، وعندما لم يأته قال:

ـ ويسكت بعد كل الذي فعله ••• الإنسان يعتـذر على الأقل ، أقسم أن هؤلاء الناس يسببون الجنون للانسان •

وصل الباص إلى بيرم أوغلو ، قال الرجل الذي يجلس على المقعد ذي الرقم عشرين للرجل الذي احمرت رقبته كحبة بندورة من الصراخ منذ بداية الطريق :

ـ ولَكْ ••• ما هي وظيفتك في هذا الباص ؟

فقال الرجل الذي كان يصرخ منذ البداية بندم :

ـ أنـا ••• أنـا ••• هي هي هي ••• أنا مسافر في هذا الباص •••

وقف الباص عند مفرق بيرم أوغلو ، فنزلت ولم أعرف ماذا حدث بعد ذلك ، وكم أسفت لنزولي من الباص لأني كنت متشوقاً كي أعرف نهاية الحديث الذي جرى ••••

اذا

صديقي الغالي بحري فلفل ...

شكراً على رسالتك التي بعثتها لي .

إذا لم تُفقد رسالتي هذه في مكتب البريد ، وإذا لم تنْس في مكان ما ، وإذا اجتازت الرقابة بسلام ، وإذا استطاع عامل البريد قراءة العنوان ، وإذا بقيت في بيتك الذي تسكن فيه دون أن يؤخذ منك لساعة وصول هذه الرسالة فإني آمل أن تصل إليــك ...

صديقي بحري فلفل ...

تسألني عن موعــد زواجي من خطيبتي ... فإذا وجدت حبيبتي عملاً ما ، وإذا أمنت الراحة التامة لمديرها في العمل ، وإذا لم يطردها من عملها بحجة أنها لا تعطيه ما يريده ، وإذا استطعنا براتبي وراتبها استئجار بيت ، وإذا استطعنا أن نشتري عدة أشياء لهذا البيت ، وإذا تحقق الازدهار الذي وعدنا به رئيس مجلس الوزراء ، وإذا ارتفع راتبي الشهري ، وإذا تحسن مستوى الحياة الذي ــ من يوم عرفت الدنيا وأنا أسمع بأنه سيتحسن ــ وإذا لم يَنْفَدْ صبر حبيبتي التي انتظرتني عشر سنوات حتى يتحقق كل

هذا ، وإذا لم يعتقلوني بأمر وزاري ، وإذا لم ينفوني إلى مكان ما ، وإذا لم يطردوني من عملي ، فإنني سأتزوج قريباً جداً .

صديقي بحري فلفل ...

تسألني عن خالتي صافيا خانم ... إذا وجدنا العلاج الذي وصفه لها الدكتور السابع في الصيدليات ، وإذا استطعنا أن نجد لها سريراً فارغاً في المشفى من أجل العملية ، وإذا خرجت من المشفى بصحة جيدة، وإذا استطعنا أن نجد العملة الصعبة لإرسالها إلى أوروبا للعلاج ، لأنها لن تشفى هنا ، وإذا لم يحجزوا الباخرة مقابل قرض ما ، وإذا لم تكشف الأشياء المهربة التي في الباخرة ، وإذا استطاعت أن تنقذ نفسها من معاينة الجمرك ، وإذا لم تسجن بتهمة التهريب لأنها أحضرت لزوجها ربطة عنق ، وإذا أعطاها الله عمراً حتى تلك الأيام ، فإنها وبإذن الله ستشفى في القريب العاجل.

أخي العزيز بحري فلفل ...

تسألني عن وضع فريقنا القومي لكرة القدم في هذه السنة : إذا ضيق مرماه قليلاً ، وإذا لم تأت الشمس بعيون لاعبينا ، وإذا لم يكن تيار الهواء معاكساً لهم ، وإذا لم يظلمنا الحكم ، وإذا صاح جمهور فريقنا بأعلى صوته « يا حمير .. يلا يا كلا ااا ب » موجهين كلامهم للفريق الخصم ، وإذا نال جمهور فريقنا بحركات أيديهم وأرجلهم البذيئة من الروح المعنوية لفريق الخصم ، وإذا استعمل جمهور فريقنا الزجاجات الفارغة والعلب من أجل ضرب أعضاء فريق الخصم وجرحهم ، وإذا زرنا مقام السلطان أيوب

وقدمنا القرابين متوسلين إليه كي يوفق الله فريقنا ، فإن فريقنا سيكون بطل الكأس لهذا العام .

أما بالنسبة لنا ... فإذا لم ينهمر المطر وعلى أثره تتعطل الهواتف ، وإذا لم ينقطع الغاز بسبب تعطل الهواتف ، وإذا لم ينقطع التيار الكهربائي بسبب انقطاع الغاز، وإذا لم تتعطل الإذاعة بسبب انقطاع الكهرباء ، وإذا لم تنفجر مواسير الماء بسبب تعطل الإذاعة ، وإذا لم يتراكم السير ويزدحم بسبب انفجار مواسير الماء ، وإذا لم يزيدوا أسعار الرغيف بسبب تراكم السير فإننا سنكون على خير ما يرام .

سأحدثكم يا صديقي بحري فلفل عن عمي الذي سألتموني عن أخباره ....

إذا استطاع أن يذهب إلى أنقره ، وإذا استطاع عن طريق الرشوة أو الهدايا أن يسير أعماله ، وإذا تعرف عليه ولم ينكر معرفته به ذلك الرجل الذي كان في يوم من الأيام من أصدقاء دراسته ، وإذا أعطاه (كرت واسطة) ، وإذا استطاع الحصول على الشهادة الجامعية ، وإذا استطاع الحصول على قرض من المصرف ، وإذا وفق في تجارته ، وإذا استطاع أن يتحمل كل المشقات إلى ذلك الوقت ، فإن أعماله عما قريب ستكون على خير ما يرام .

أخي بحري فلفل ...

أما بالنسبة لجنكيز الصغير ، فإذا لم يحشر مع تسعين طفلاً في صف واحد مثلما حصل السنة الماضية ، وإذا انقضت السنة بدون دروس فراغ بسبب عدم وجود المعلمين ، وإذا لم يحولوا السنة الدراسية إلى نظام الثلاثة فصل، وإذا لم يبق إلى التكميلي، وإذا استطاع أن يقدم الفصل الثاني بسبب رسوبه في التكميلي وإذا استطاع أن يقدم مواد تكميلية بسبب رسوبه في الفصل الثاني ، وإذا لم يقدم الوزير تسهيلات أكثر للطالب كي يزيد نسبة النجاح ، فإن جنكيز سينجح هذه السنة أيضاً .

أخي بحري فلفل ...

ذهبت وسألت عن الشيء الذي تسألني وتريد معلومات عنه ، وقد حصلت على المعلومات التالية: فإذا خرج السمك إلى اليابسة، وإذا نبت الشعر في وجه الأجرد ، وإذا بنى الجاموس عشاً له على أغصان شجر الصفصاف ، وإذا أصبح ذو البشرة السوداء ذا لون أبيض ، وإذا غسلت القطة غسيلها ، وإذا صعدنا إلى السماء بسلم ، فإن الذي سألتني عنه سيحدث حتماً .

صديقي الغالي فلفل ، أنتظر رسالتك بفارغ الصبر ....

لك قبلاتي الحارة .

تقبّل الله

كعادته في كل يوم ، يدق صاحب بناية السعادة حمزه بيك نافذة إحدى الغرفتين المتقابلتين حيث يقيم البواب أمين أفنـــدي ويصرخ :

ــ أمين أفندي •• أمين أفندي •

وبعد ذلك يبدأ سعاله المقشع •

لم يكن أمين أفندي بواباً للبناية وحسب بل كان ومنذ أربعة عشر عاماً مساعداً لحمزه بيك وصديقاً وشريكاً لهمومه ومديراً لأعماله ••• وكل شيء •

ــ أمين أفندي ••• أمين أفندي •

ويرافق هذا النداء بسعال منظف لقصبته الهوائية •

ــ إني قادم ••• قادم •••

بنـــاية السعادة مؤلفـــة من ستة طوابق في كل طابق شقتان متقابلتان ، وفي الطابق الأرضي يوجد دكان إلى اليمين ودكان إلى اليسار •

في الأولى تاجر أقمشة وفي الثانية بائع حلويات •

تقع غرفة أمين أفندي خلف هذين الدكانين وقريبة من خزان الشوفاج •

ـ أمين أفندي ، أقمت صلاة الصبح منذ قليل .

ـ تقبل الله يا بيك ...

ـ هل تعرف ما الذي خطر ببالي عندما كنت أصلي ؟.. كنت أصلي وفجأة خطر ببالي سكان الشقة الرابعة . هل أخذت منهم إيجار هذا الشهر ؟..

ـ أخذناه يا بيك ... وأعطيته لك البارحة .

ـ نعم أعطيتني إياه ليس هـذا ما قصدته ، هـل مازالوا يدفعون الإيجار كما كانوا يدفعونه قديماً يا أمين أفندي .. عندما كنت أصلي فجأة بدأ الدم يغلي في عروقي .

لا حول ... اذهب ... اذهب مباشرة إلى المحامي وقل له : الله ... الله ... هل هؤلاء الناس مصيبة وقعت فوق رأسنا ؟!.. ... التوبة يا ربي ، لا يتركونني بحالي حتى وأنا في حضرة المولى جل جلاله ، قل للمحامي : ليخرج سكان الشقة الرابعة . هل فهمت يا أمين أفندي ؟...

مباشرة اذهب الآن ، وليرفع دعوى عليهم ، وإياه أن يعطيهم إيصالاً عندما يقبض النقود منهم .. أليس كذلك ؟!.. ليقل بأنهم لم يدفعوا الإيجار ، لا حول ولا ... لا نرتاح حتى ونحن نصلي ، هيا يا أمين أفندي هيا لا تقف ....

ـ في هذه الساعة لا يمكن أن نجد المحامي في مكتبه .

ـ كيف لا نجده ... المسلم الحقيقي هـو الذي يستيقظ

حالما تشرق الشمس يصلي ويقول بسم الله ... اذهب وانتظر على باب مكتبه .

لم لا تتصل هاتفياً به ؟..

ــ غير ممكن ، لا يمكننا التحدث بمثل هذه المسائل الجدية بواسطة الهاتف .

اذهب ... لا تتكاسل ، قل له ما قلته لك . ألم يبق أية رحمة في قلوب هؤلاء الناس ؟.. ألم يعد للايمان وللدين أيُّ مكان في قلوبهم ؟.. لا إله إلا الله ... توبــة ... توبــة ... يا سلام ما أحلاك تعال واحتل شقة مكيفة بألف وثمانمئة ليرة .

يدرك أمين أفندي تماماً بأن حمزه بيك لن يتصل هاتفيــاً لأن الاتصال يكلف مئة قرش .

ألا يؤلمه دفع ذلك ؟ ولكن أمــين أفندي سيدفع أجرة طريق الذهاب إلى المحامي من جيبه ... إه .. والبيك لا يفكر بذلك أبداً . يوجد عند حمزه بيك معمل يديره ولده ، كما أنه شريك في مصرفين حصته في الأول عشرون مليون ليرة وفي الثاني ثلاث ملايين ونصف ، ويوجد لديه أيضاً معمل صابون يديره صهره . وعنده بنايات كثيرة . كما أنه قد بنى في العام الماضي بناية ، في الحقيقة ليست بناية فقط بل حي بأكمله ، إذ أنهــا تتألف من ثمانٍ وعشرين شقة . ويوجد تحتها سوق كبيرة !... عندما كان يتناول أمين أفندي طعام الغداء ، دق زجاج نافذته :

ــ أمين أفندي ... أمين أفندي .

فتح الباب ..

ـ تفضل يا بيك ...

ـ كنت أصلي صلاة الظهر ..

ـ تقبل الله ...

ـ هل تعرف ماذا خطر ببالي عندما تهيأت للسجود ؟..

في الصباح مررت ببائع الحلويات نيجو ، تعرفه ... أليس كذلك ؟.. إنه الرجل الذي يسكن عندنا . آه يا أمين أفندي ، كان الدكان مزدحماً جداً بالزبائن . حتى إن الجرسون لم يعد قادراً على تلبية طلبات الجميع .

وزوجته تجلس وراء الصندوق وتكدس أوراق النقود فوق بعضها ... ولك هل أنا المغفل الوحيد في هذه الدنيا ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله الـ ...

استغفر الله العظيم ... سأرفع قيمة الإيجار ، ألا يعرف هؤلاء الناس شيئاً اسمه حق ؟... اذهب ... وقل لهذا الكافر اعتباراً من هذا الشهر سيدفع ألفين وخمسمئة ليرة .. أفهمت ؟.. ألفين وخمسمئة ليرة ... قل له بأني قد نبهته فلا يلومن إلا نفسه إذا استدعيته إلى المحكمة .. أقسم بالله بأن هذا الكافر سيكون سبباً في إفساد صلاتي .

استناداً إلى هويته الشخصية فإن حمزه بيك في الثانية والسبعين من عمره لكنه يحب أن يظهر نفسه بأنه عجوز أكثر من ذلك ، إذ أنه يقول إن عمره بلغ الخامسة والثمانين وقد اعتاد منذ

خمسين عاماً على قول عبارة « إنني على حافة قبري » ، فهو يعرف بأن إظهار نفسه بهذه السن سيعطيه بعض الوقار والاحترام في الوسط الذي يعيش فيه .

حمزه بيك الذي يسكن الشقة السادسة نادى من نافذة شقته التي في الأعلى :

ــ أمين أفندي ... أمين أفندي .

في الحقيقة ، يوجد جرس للبواب ولكن حمزه بيك لا يحب استعماله ، إذ أن الجرس سيصرف كهرباء في حال استعماله . وقف أمين أفندي خلف النافذة وقال :

ــ تفضل يا بيك ...

ــ تعال يا أمين أفندي تعال ... اصعد إلى شقتي حالاً .

كان حمزه بيك ينتظر عند الباب ...

ــ يا أمين أفندي منذ قليل كنت أصلي العصر ..

ــ تقبل الله ...

ــ أتعلمُ ما خطر ببالي وقتها ؟..

ــ آه .. ومن أين لي أن أعرف ؟..

ــ الله .. الله .. ألم أقل لك يا أخي ... ألهمني الصبر يا إلهي ، حتى وأنا في حضرة الإله لا أستطيع أن أرتاح ، ماذا قلت لك ؟ لقد تعطلت كهرباء الدرج وعليك أن تأخذ خمس عشرة ليرة من كل شقة ...

الحمد لله لقد تذكرت ، هل أخذت منهم ؟ أعرف بأنك نسيت ..

هيا اركض ودق أبوابهم ••• إما أن يصلحها من عطلها أو ليدفع كل واحد منهم خمس عشرة ليرة • ألا يكفي أنهم يجلسون في بناية كبيرة كهذه مجاناً ويريدونني أن أصلح أعطالهم ؟ والله شيء رائع •• ما هذا يا ؟•••

لنضع أيضاً المصروف الذي يحتاجونه في جيوبهم •• التوبة يا ربي ••• أنت أدرى بحالي •••

قل لهم بأن الكهرباء لن تصلّح إلا بعد دفع النقود •• إن الله مع الصابرين ••

كان أمين أفندي يحلق لحيته وقد أسند مرآة صغيرة إلى النافذة حين أتت إليه خادمة حمزه بيك وقالت :

— البيك يريدك •••

وذهب أمين أفندي •

— تفضل يا بيك ••

— ولك يا أمين أفندي ، تقبل الله منا ومنكم ، عندما كنت أصلي العشاء أتعلمُ ما خطر ببالي وقتها ؟•• بعد الظهر قلت سأزور متجر كامل الذي يسكن عندنا ، فسألته : « ما هي أحوال عملك كامل بيك ؟ » •• فقال لي : « ركود يا سيدي » لايوجد بيع ولا شراء ••••

يا أخي ، هل يظنون بأن جميع الناس مغفلين ، كلما سألته يرد بنفس العبارة ، ألم يبق عند الناس شيء اسمه الوجدان ؟•• يا أمين أفندي إن متجره مليء بجميع الأصناف ، ومازال الرجل

يشكو من البطالة ، أتعلم لماذا يتظاهر بذلك يا أمين أفندي ؟.. يظن بأنه إذا قال لا يوجد عمل أو لا يوجد بيع ولا شراء فإنني سأغض الطرف عن حقوقي التي عنده . إنه يقيم في دكان بألفي ليرة ولا يكفيه ذلك ... أفهمت ؟.. وكلما دخلت إلى دكانه يدعو الله أن لايأتي أي زبون كي لا أراه ، إن صانعه ينتظر عند الباب ولا يسمح لزبائنه بالدخول ، وأنا أعانده فيأتي زبون ويسأله « أيوجد كذا ؟.. فيقول : لا .. لا يوجد » . ويأتي زبون غيره ويسأله : « أيوجد كذا ؟.. فيقول : انتهى » ، كل هذا كي لا أراه يبيع كي لا أزيد أجرة الدكان .. يريد أن يجلس في دكان كبير كهذا مجاناً .. أقول لك يا أمين أفندي لم يبق أي ذرّة وجدان عند هؤلاء الناس ... لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ... أقسم بأن قلبي سيقف .. لقد ارتفع ضغطي .. ما هذه المصيبة التي أعيش فيها مع هؤلاء المستأجرين الذين يريدون قتلي . يا أمين أفندي سيقتلونني.. إنهم قتلة... كل هذا خطر في بالي عندما كنت أصلي العشاء .. اذهب إلى التاجر كامل وقل له ما أقول لك .. بما أنه لا يوجد لديه زبائن ، وبما أن تجارته راكدة ، وبما أنه يتضرر كثيراً من جراء ذلك ، فلماذا لا يخرج من دكاني ؟.. أليس من الأفضل له أن يخرج .. أنا لا أريد الضرر لأحد .. ليخرج منها .. إنّ في بقائه عندنا ظلم لنفسه ، أليس كذلك ؟...

قل له ما أفهمتك إياه .. فأنا رجل مسلم وعلى حافة قبري ..

اشرح لقليل الحياء هذا بأنه يوجد من يعطيني خمسين ألف ليرة مقابل دكاني هذا ويوجد من يعطيني في الشهر خمسة آلاف ويدفع عن سنة مقدماً .. اشرح له ذلك .. إما أن يدفع ثلاثة آلاف ليرة أو يخرج .

وازداد هيجان حمزه بيك فبدأ بالصراخ :

ـ سيقتلونني ، إنهم جلادون ، إنهم قتلة .. إنني رجل عجوز وقد تسارعت دقات قلبي ، هل سيدفعون لي مصاريف الدكتور وثمن الأدوية إذا مرضت ؟...

وعندما ذهب أمين أفندي إلى سريره لينام دق الجرس ، وصاحب البناية لا يدق الجرس إلا في الليل . صعد البواب إلى الطابق الأعلى بعد أن ارتدى ثيابه ..

ـ أمين أفندي ..

ـ تفضل يابيك ..

ـ تقبل الله منا ومنكم .. أتعلم ما خطر ببالي وأنا أصلي العشاء ؟..

غداً سيكون الجو حاراً إن شاء الله ... ما شاء الله يا أخي .. وكأننا في منتصف أيام الصيف .. يجب أن لا نشغل الشوفاج .. فلقد نظرت اليوم إلى التقويم .. فتبين لي أن السنونو سيأتي غداً ... يريدوننا أن نشغل الشوفاج في أيام الصيف .. والله هذا حرام .. لأن الله سيسألنا غداً في الآخرة « أنا بعثت السنونو إليك

لأعلمك بأن الجو أصبح حاراً وأنت مازلت تشغل الشوفاج ، فلمَ كل هذا الهدر ؟•• » ••• غداً لا يوجد شوفاج ، لن يشغل •• قل للمستأجرين لقد انتهى الشتاء • عندما كنت أصلي العشاء سمعت المذياع يقول : سيكون الجو غائماً جزئياً ، وستكون الليلة رطبة ، وستكون درجة الحرارة فوق الخمس درجات • إنهم يعطوننا مئتي ليرة ويريدون أن نشغل الشوفاج اثني عشر شهراً ، يا إلهي أعطني الصبر ••• آخ •• واعتباراً من يوم غد لا يوجد مياه ساخنة ، وليخرجوا إذا لم يعجبهم هذا النظام •• نحن لن نسكن أحداً قسراً في بنايتنا، ومن لا يعجبه هذا ليخرج بالحسنى•

وكما يحدث كل يوم دق باب البواب منذ الفجر ••

ـــ أمين أفندي •• أمين أفندي ••

ويتبعها نداؤه بسعال رطب ••

يخرج أمين أفندي وهو يجر طرفي بنطاله تحت رجليه •

ـــ تفضل يا بيك ••

ـــ تقبل الله منا ومنكم كنت أصلي الفجر وفجأة قلت لنفسي مادام هؤلاء المستأجرون ليسو مرتاحين •• وماداموا يجلسون في بنايتي مجاناً • ها ها !!! ؟ وأنا أصلي ، خطر بذهني خاطر ، تقبل الله ، عندما كنت أصلي الفجر•• لمَ لا أعلن عن بيع هذه البناية•• علماً بأنني لن أبيعها ، إنها مجرد خدعة ، وبعد ذلك سيأتي الذين يريدون شراءها إلى هنا أليس كذلك ؟•• وبعد ذلك سيصعدون إلى كل شقة ويتجولون فيها •• سيتجول الرجل بنفسه ،

وستتجول زوجته ، وسيتجول أطفاله • ولأنني سأعلن عن بيع البناية بسعر رخيص جـداً فسيأتي أشخاص كثيرون على الأقل ، سيأتي في اليوم ثلاثون شخصاً ، في هذه الحالة سيفتح المستأجرون الباب ثلاثين مرة ، وسيدخل إلى بيتهم ثلاثون رجلاً ، سيدخلون ويخرجون إلى غرف النوم وإلى الحمامات وإلى المطابخ •• هل فهمت ؟••• سأزهق روحهم من الضجر •• هؤلاء الحيوانات •• وسيتجول الأجانب على مدار سنة في بيوتهم ، وبذلك سيكونون أسرى يا أمين أفندي •

أليست البنـاية لي ومن حقي بيعهـا ؟•• ومن حقي أن لا أبيعها •• لقد جعلوني أكره نفسي ، وأنا أريد أن يكرهوا أنفسهم حتى يخرجوا من بنايتي •• ما رأيك بهذه الخطة ؟•• إن قلبي نظيف يا أمين أفندي ، فقد أتت هذه الخطة إلى عقلي عندما كانت يداي متشابكتين •• بينما كنت أصلي صلاة الفجر •

كان حمزه بيك قادماً من الشارع عندما التقى أمين أفندي وهو يمسح الدرج فبادره :

ــ أمين أفندي اسمعني جيداً •• إنني قادم الآن من صلاة الجمعة تقبل الله منا ومنكم • عندما كنت أصلي صلاة الجمعة خطر ببالي سكان الشقة الثامنة •••

البارحة مساء وطوال الليل كانت صنابير المياه عندهم مفتوحة، لقد خربوا الصنابير يا أمين أفندي • يا أخي ستسقط البناية وأنا على حافةقبري•••وبسببهم فقد فَسَدت صلاةالجمعة ••هل فهمت

يا أخي أن هذه البناية لم تُبنَ بأموال الكفار •• قل لهم أريد أن يدفعوا أجرة سنة مقدماً •• في هذه الأيام لا يوجد شقة في بناية بألفي ليرة •• والله هذا الذي يفعلونه بي لا يفعله جيش احتلال بأي بلد •

استيقظ أمين أفندي في يوم العيد باكراً :

ــ أمين أفندي •• أمين أفندي ••

ــ إنني قادم من صلاة العيد ــ تقبل الله منا ومنكم ــ لقد خطر بذهني •• تقبل الله منا ومنكم ، ماذا خطر بذهني يا ربي ؟ لقد نسيت من الجامع إلى هنا •• هؤلاء المستأجرون لا يتركون عقلي بحاله •• إنه شيء مهم •• تماماً وأنا أصلي •• عندما وصلت إلى الركوع •• خطر بذهني •• ما هو هذا الشيء •• لم يتركوا عقلاً في رأسي •

منذ مدة لم أكن أنسى شيئاً ••• في الصلاة ••• نعم ••• عندما كنت أصلي تذكرت ما قاله لي سكان الشقة الثالثة •• قالوا بأنه لا يوجد عندهم أطفال ، لقد خدعوني ، فأنا لا أعطي الشقة للذين عندهم أطفال ، وبعد أن سكنوا بثلاثة أشهر جاءهم مولود وفي كل سنة طفل ، هذا غير معقول يا أمين أفندي ••

لا كذب في الدين الإسلامي ، كل هذا خطر ببالي في صلاة العيد • قل لهم : لديهم مهلة شهر وبعدها ليجدوا لأنفسهم مكاناً آخر • اقطع عنهم الماء والكهرباء •• ما هذا يا أخي •• كل سنة طفل •• هل فتحنا عشاً للأطفال ؟•• حتى في صلاة العيد لا يمكننا أن نرتاح قليلاً •

كان يوم أحد عندما صعد الدرج البواب الذي أمضى في الخدمة أربعة عشرة عاماً . في بناية السعادة ، دق جرس الشقة السادسة .. فتحت له الخادمة ..

ــ أين البيك ؟..

فقالت الخادمة :

ــ في الصلاة ..

دخل إلى المدخل ..

ــ عندما ينهي صلاته أخبريه بأنني أتنظره هنا ..

وبعد قليل جاء حمزه بيك ..

ــ الحمد لله إنك أتيت يا أمين أفندي ، كنت سأطلبك بعد قليل وأنا أصلي ... رفع أمين أفندي إصبعه إلى الأعلى وكأنه يعطي إشارة بالسكوت ..

ــ أولاً .. لقد أتى إلى عقلي شيء أريد أن أقوله ياحمزه بيك . فأنا منذ قليل ــ عفــواً ــ ذهبت إلى التواليت ، فخطر بذهني سؤال وأنا في التواليت ، قلت : يا أخي .. ممَ يشكو هذا البيك ، ما هذا الذي يقوم به يا سيدي ؟.. بــعْ هذه البناية واسترح ... في التواليت خطر بذهني هذا الخاطر . لا تؤاخذني .. إن الشيطان هو الذي أحضر إلى ذهني هذه الفكرة . فقلت لنفسي : هذا القواد لديه البنايات ، وهذا الحيوان لديه الملايين وهذا القليل الحياء لديه المعامل . هل فهمت ؟.. وأنا في التواليت خطرت بذهني هذه الأشياء .. لقد أحضرها الشيطان إلى ذهني ،

ولك هذا الرجل ليس على حافة قبــره ، بل في قبــره •• ما هي الصعوبات التي يعيشها ، إنه لو رمى نقوده في الهواء فلن تنتهي••

ياأخي ما هذا؟•• لاأرتاح حتى وأنا في التواليت ما هذا يا ؟••

تغير لون حمزه بيك وارتعشت يداه ، وسقط فوق كرسي موجود في المدخل ، وقال :

الشيطان لا يؤتمن يا أمين أفندي ، إنه يلعب بعقل الانسان • كل ما قلته صحيح فلدي النقود ولدي كل شيء ، ولكن إذا بعت هذه البناية ماذا سأفعل ؟•• إنني أموت بلا عمل • يا أمين أفندي، إذا بعتهــا هل سأستريح ؟•• مــاذا سأفعل إذا لم أقاتل هؤلاء الجيران •••

في اليوم التالي كان البواب يجلس في مقهى صغير على نفس الزقاق عندما أتى حمزه بيك ومعه شخص آخر إلى جانبه • لقد تعجب بواب بناية السعادة لأن الوقت لم يكن وقت ما بعد الصلاة ولا تأتي الأفكار إلى عقل حمزه بيك إلا وقت الصلاة • وقــال حمزه بيك :

ــ منذ ساعة وأنا أبحث عنك يا أمين أفندي• إني متأخر جداً• فعلاً لقد كان وضعه حزيناً • كانت ذقنه ترتجف وهو يتحدث بصوت حزين :

ــ لقد دفنت الآن أعز صديق لي • لقد مات بصري ، إنني قادم الآن من جنازته • إنها ••• هذه حال الدنيا كلنا على هذه الطريق مهما قصرت حياتنا أو طالت •

هل تعرف ما خطر ببالي وأنا أقيم صلاة الجنازة يا أمين أفندي ؟.. يا أخي لا أرتاح حتى وأنا أصلي على الميت . التوبة يا ربي ، لا حول ولا قوة ... كنت أفكر بوضع بواب لبنايتي ، انظر .. إن هذا الرجل الذي معي يدفع ثلاثة آلاف ليرة ، وأنا لم آخذ منك أي قرش . وإذا حسبت كل ما تعطيني إياه تجده لا يساوي خمسمئة ليرة ، وقد مرت على إقامتك هنا أربعة عشر عاماً ...

فقال أمين أفندي :

ــ جيد .. ليأتِ صديقك مساءً إلى البيت ، ويجلس فيه ، ويصبح بواباً على هذه البناية . وأنا سأذهب الآن لأجمع أغراضي كلها ...

تعجب حمزه بيك وقال :

ــ كيف ... مباشرة ؟..

ــ مباشرة ...

ــ هكذا إذاً مباشرة ، بلا غضب ولا محاكم ؟ ألا تطالب بتعويض عملك ؟.. فأنت تعمل منذ أربعة عشر عاماً ... بلا محام ولا محاكم ولا مخافر !! هل ستذهب بهذه السهولة ؟..

ــ لا أريد شيئاً يا أخي ، سأذهب الآن وآخذ أغراضي .

فقال حمزه بيك :

ــ يا حرام ، لم يبق لهذه الدنيا أي طعم ، لا أحد يقدّر هموم أحد .

هل حان وقت أذان العصر ؟... أذهب وأصلي ...

يا للرجل العظيم

ــ مرحباً فاضل بيك ••

ــ أووه •• ما شاء الله يا سيدي •• ما شاء الله •• أهلاً كيف حالك إنشاء الله تكون على مايرام •

ــ الحمد لله يا سيدي •• حمداً لله على سلامتك •• أين أنت يا رجل ؟•

ــ شكراً لك يا سيدي •• إني بخير •• كيف حالك أنت ؟•

ــ بصحة جيدة والحمد لله •

ــ الله يعطيك العافية يا سيدي •

ــ هل تعرف بمن التقيت قبل أن أراك بقليل ؟•• لقد التقيت بـ (••••) •

ــ ماذا تقول ؟ إذاً التقيت به !!

ــ نعم •• رأيته وتكلمت معه شخصياً •••

ــ يعني •• هكذا وجهاً لوجه •• أليس كذلك ؟!!

ــ طبعاً •• أقول لك لقد رأيته • ليس في الحلم بل في اليقظة ، رأيته شخصياً وتكلمت معه •

ــ هل تكلمت معه ؟!!

ــ نعم •••

ـ وماذا تحدثتم ؟..

ـ كثيراً ...

ـ وأنـا أيضاً رأيتـه عندما كنت فتىً أي في السادسة أو السابعة عشرة من عمري ذهبت إلى بيته مع المرحوم والدي في عيد أو زيارة خاصة .. المهم أنني لن أنسى تلك الحكمة التي قالهـا بحضوري .

ـ وماذا تكلم .. ماذا تكلم ؟!!

ـ عندما كنا بحضرته الكريمة وكان هناك ضيوف كثيرون غيرنا ، يومها تفضّل وقال :

(كلما اشتد الشتاء كان المحصول أوفر ، ومبارك) ..

ـ ماذا تقول ؟!! إذاً هكذا تفضل وقال !!..

ـ نعم لم تزل هذه الحكمة محفورة بذاكرتي .

ـ يا للحكمة !!

ـ ومن ثم تفضل وقال للضيوف : « إذا كنتم تشعرون بالبرد سأضع بعض الخشب في الموقد ...

ـ يا إلهي .. يا لهـذه الحقيقة التاريخية ، كم هي بسيطة ظاهرياً ، ولكن لها عميق المعاني !!

ـ يا سيدي .. الكلام عندما يخرج من فمي أو من فمك يكون بسيطاً ، ولكن ما إن يخرج من فمه حتى يأخذ قيمة جديدة، ومعنى آخر .. كيف سأوضح لك لست أدري ؟

ـ أفهم .. أفهم ..

ـــ ولكن تكلم أنت عن لقائك بحضرته •• ماذا قال ؟ لو ضبطت كل كلمة قالها •••

ـــ يا سيدي كيف سيعرف الإنسان أنه سيصادف هذه اللحظة السعيدة ؟! لو أعرف لأحضرت معي مسجلة وسجلت كل كلمة قالهــا ••

ـــ له قيمة تاريخية كبيرة •

ـــ طبعاً •• ولكن فتحت أذني عشرة على عشرة ، واستمعت إليه ، وعندما افترقنا ذهبت ونقلت كل كلامه من ذاكرتي التي نقشت عليها إلى دفتري الخاص •

ـــ وهل كتبت التاريخ تحتها ؟••

ـــ كتبت التاريخ والساعة والمكان •

ـــ فعلت خيراً يا سيدي •• إنها يا سيدي تعتبر وثيقة تاريخية ذات قيمة عالية ، وفي المستقبل سيكون لها قيمة أكثر من الآن ••

ـــ ستبقى ميراثاً لأولادنا ••

ـــ نعم •• وماذا قال ؟••

ـــ يا سيدي عندما كنت في ميناء الكادي كوي وكنت على وشك الركوب في الباخرة لفت نظري ازدحام •• نظرت بدقة في وسط الزحام ••• كان هو •••

ـــ أووووه ••• ووه •

ـــ نعم هو ••• بعينه •

ـــ جيد وماذا فعلت ؟!!

ـ ماذا أستطيع أن أفعل يا سيدي ؟..

بعد دهشتي الأولى ركضت فوراً إلى يديه ، ضممتهما وقبلتهما . وبعد ذلك ركبت الباخرة ، وهناك كان كل شخص يراقب حركة شفاهه مثلي ليفهم ما إذا كان سيتفضل ويتحدث ..

ـ يا إلهي ...

ـ والله ..

ـ ماذا قال ؟!!

ـ عندما دخل إلى صالون الباخرة قال :

ـ إني متعب يجب أن أجلس .

ـ الله ... الله ..

يا للحكمة العميقة يا سيدي « إنني متعب يجب أن أجلس ».

ـ انظر إلى هذه الحكمة .. انظر :

ـ لقد تعب من أجل الشعب من أجل الوطن من أجل البلد ، تعب كثيراً ...

ـ عندما قال : « إني متعب ، يجب أن أجلس » لم أستطع أن أمتلك نفسي ، وبكيت ، وبكى الجميع .

ـ ألا يُبكى بمناسبة كهذه ؟!!

ـ انظرْ إلى عينيه الآن ، اغرورقتا بالدموع .. وبعد ذلك..

ـ وبعد ذلك يا سيدي ، وفي هذه الأثناء مرّ النادل وهو يصيح : (شاي .. قهوة ..) فسأله أحد الحضور : إن كان يود شرب القهوة أم الشاي .

ــ ماذا قال ؟!!

ــ قال : « الشاي جيدة ولكن إذا شربت قبل الطعام أغلقت الشهية » •••

ــ يا أخي الرجال الكبار كلامهم يكون كبيراً •

ــ طبعاً •• وبعد ذلك سأل أحد الشباب عن عمله ، وعندما قال الشاب إنه يدرس في كلية الهندسة ، قال له : « على أكتاف المهندسين تعمر البلاد » •

ــ يا للحقيقة العظيمة •••

« وخوفاً من النسيان ، ومع مرور الزمن كنت أكتب كل كلمة يقولها ، دون أن يراني أحد » • وفي هذه الأثناء بدأ لغط كثير ، وازداد الكلام ، ولكن لم أعرف حول ماذا كانوا يتكلمون ، فوراً غضب وقال : (الحالة سيئة ــ سيئة جداً) •

ــ يا إلهي •• إذاً هكذا قال !!

ــ نعم قال : الحالة سيئة جداً •

ــ عجباً •• أية حالة يقصد ؟••

ــ والله لا أعلم •• هل يقصد حالته ، أم حالتنا ، أم حالة البلد ؟••

ــ إذا كان هو قال : الحالة سيئة جداً ، إذاً هناك حقيقة يعرفها ولكنها غائبة عنا ، هل كتبتها في دفترك ؟••

ــ طبعاً •••

ــ كم هو صحيح •• كم هو صحيح • كل كلمة يقولها تحمل

معنىً باطنياً غير مفسر ولها معنى عميق .. فعلاً الحالة سيئة جداً يا سيدي . المهم هل سجلت كل كلمة قالها ؟

نعم ولكن ، في إحدى المرات لم أستطع أن أكتب .

ـ لمــاذا ؟..

ـ تجشأ بصوتٍ عالٍ .. الكل سمع الصوت .

ـ الله .. الله .. تجشأ إذاً !!.. كيف فعل ذلك ؟!

ـ بشكل طبيعي .. ليس ســهلاً يا سيدي .. كم قــدّم خدمات لا تنسى لهذا البلد طوال سنين ...

ـ افهم ـ يعني ذلك أن أعضاءه تضررت .

ـ نعم تضرر كل شيء في المسكين ، أمعاؤه ، ومعدته ، لم يبق شيء لم يقدمه لهذه الأمة .

ـ عندما تضغط الغازات بداخله تعصر أمعاءه ، ويتجشأ دون أن يتحكم بنفسه .

ـ ألم يفعل شيئاً آخر ؟!!

ـ عندما كان في الباخرة لم يفعل ولكن فيما بعد لا أدري . وعندما اقتربت الباخرة مــن الميناء نظر إلى الذين حوله وقال : « الوطن أمنا والدولة أبونا وتنتظر منكم التضحية » .

ـ إنها حقيقة أبدية ..

ـ رجاءً تمالك نفسك .. الآن ستبكيني ..

ـ إذا جلس معه الإنسان دائماً كم هي الاستفادة التي يمكن أن يحصل عليها . في كل كلمة يا سيدي حكمة جديدة ، ومعانٍ عميقة ...

ـ كل كلمة من كلماته تفسر بكتاب ، ولكن من يستطيع أن يفسرها .

ـ عندما يمر الزمن ستفهم قيمتها أكثر .

ـ بلا شك .

ـ عندما خرجنا إلى اليابسة رفع رأسه إلى السماء وقال : « غداً سيكون الجو جميلاً » .

ـ انظر إلى المعنى المجازي . ولكن من يستطيع أن يفهم ؟!

ـ في كل جملة يوجد مجاز ، فالجملة لها معنى ظاهرياً إذا نظرت إليها لا تجد شيئاً ولكن إذا فهم القصد نجد الجملة عميقة المعنى والدلالة . ماذا يعني « غداً سيكون الجو جميلاً » ؟!.

ـ للذي يفهم إنه كلام كبير ..

ـ أستأذن يا سيدي . لا يمل من صحبتكم .

ـ أستغفر الله . إذنك معك .

ـ أستودعكم الله ، أنا ذاهب إلى هذه الجهة .

ـ مع السلامة ، إلى اللقاء .

ـ إنشاء الله فاضل بيك .

بيتنـا

حتى صاحب هذا البيت الممتد فوق أرض واسعة لا يعرف كم غرفة يحوي • لقد بنى هذا البيت الموروث عن الآباء والأجداء منذ زمن موغل في القدم • هذا البيت المؤلف من غرف واسعة وصالات وشُرفٍ واسعة • كان الذي يدخله يخاف كمن يدخل إلى مغارة مخيفة ، كتلك التي نسمع عنها في الحكايات • وكان صاحب هذا البيت يسكن مع زوجته الطيبة وأبنائه وبناته الرائعين • مع أن هذا البيت كان يتهـدم شيئاً فشيئاً فقد كان صاحب هذا البيت يفتخر قائلاً :

ــ إن بيتنا إرث من آبائي وأجدادي • وكان كلما تذكر هذا البيت يصل طرفا فمه إلى أذنيه ويضرب على صدره بافتخار •

وعندما بدأ الطابق العلوي من البيت بالانهيار رحل أصحاب البيت إلى الطابق الأوسط • وعندما تهدمت نوافذ وجدران البيت المطلة على الحديقة نقل أصحاب البيت أمتعتهم وأقاموا في الصالون الداخلي والغرف المجاورة له • ولكثرة غرف هذا البيت كانوا كلما تخربت جدران بعض الغرف ينتقلون إلى غرف أخرى أكثر أماناً تحميهم من العواصف والمطر والبرد •

وكان تعلق أصحاب هذا البيت نابع من كونه واسعاً ، لأنهم

يستطيعون أن يبدلوا غرفاً طيلة حياتهم •• وباختصار كان صاحب هذا البيت محقاً عندما يفتخر قائلاً : هذا بيتنا •

وفي أحد الأيام دُقّ باب هذا البيت الكبير وكان القادم جاراً يسكن على يمين البيت • ولأن احترام الضيف من الميزات التي تربى عليها صاحب هذا البيت فقد دعاه للجلوس ودارت بينهما الأحاديث :

ـ إن بيتنا •••

فقال الجـار :

ـ بيتكم جميل جداً ، وكبير ، ومنظره رائع جداً •

فقال صاحب هذا البيت الذي أسعده هذا الكلام :

ـ نعم لا يمكن أن يقول الإنسان إلا كل شيء جميل عن جمال منظر بيتنا •

وبناءً على هذا الكلام قال يسأل الجار :

ـ إن بيتنا لا يتسع لنا لأن عائلتنا كبيرة ، وأنـا أتساءل : هل نستطيع أن نجد عندكم غرفة فارغة للإيجار ؟••

فكر صاحب البيت بعرض جاره ، لم يجده سيئاً أبداً •• إذ بإمكانه أن يؤجـره غرفـة ، وبنقود الإيجـار يمكن أن يصلح الدرج ، ويرمم الأبواب ، خاصـة وأن أغلب الغرف فارغة •• قال لجاره :

ـ ممكن ، اختاروا الغرفة الفارغة وأقيموا فيها •

استأجر الجار إحدى الغرف ، وبدأ صاحب البيت يفتخر أمام معارفه ويقول :

ـ لقد أجرنا غرفة من غرف بيتنا • وبعد مدة جاء مستأجر آخر ، وقال لصاحب البيت : سمعنا أنك تؤجر غرف بيتك ، هل تؤجرنا غرفة فيه ؟•• قبل صاحب البيت ، وأعطاه غرفة من بيته • وبعد أن انقضت مدة من الزمن جاءه جار آخر وقال له :

ـ حديقة بيتكم واسعة جداً ، وأنتم لا تزرعون بها شيئاً ، فلمَ لا تؤجرني عدة دونمات منها ؟••

فقال صاحب البيت :

ـ ممكن •••

وبعد مدة قال له أحد الجيران :

ـ إننا بأزمة ، ونحتاج للماء خاصة أن مياه بئرنا قليلة جداً •• هل نستطيع الاستفادة من بئركم ؟••

فكر صاحب البيت قليلاً ، ثم قال :

ـ لِمَ لا تحفروا بئراً في حديقتكم ؟••

فقال الجار :

ـ حفرنا ، ولكن أسرتنا كبيرة جداً ، ولهذا لا يكفينا ماؤه ، كما أنني سأعطيك ثمن الماء الذي سآخذه من بئركم •

لم يرَ صاحب البيت أي مانع من إعطاء الماء لجاره ••

قال أحد المستأجرين :

ـ أريد طريقاً يمر من حديقتكم إلى بيتنا ، لأننا كيف سنسكن في بيتنا وفي غرفتك من دون أن يكون هناك طريق يصل بينهما •

قال صاحب البيت :

ــ الحق معك يا سيدي ..

وشق طريقاً في حديقته .

أصبح الآن يفتخر أكثر بالبيت الذي ورثه عن أجداده وكانت عيناه تغرورقان بالدموع من الفرح عندما يقول : ... بيتنا .

قال سكان البيت :

ــ لا تكفي لكل منا غرفة واحدة ولهذا نريد أن نستأجر لكل منا غرفة جلوس في بيتك .

ــ ولم لا ،... يوجد في البيت غرف كثيرة على كل حال .

وبعد مدة طلب المستأجرون طلباً آخر :

ــ نريد غرف نوم ...

قال صاحب البيت :

ــ هذا حقكم ، اختاروا الغرف التي تعجبكم .

ــ نريد مطبخاً .

ــ تستطيعون استعمال المطبخ .

لقد أصبح غنياً بعد أن سالت النقود بين يديه ، حتى أن زوجته وبناته كن يرقصن ويغنين من شدة فرحتهن . وكان باستطاعة الأولاد أن يتسلوا ، ويمرحوا كما يريدون ، كما أصبح باستطاعته شرب العرق في المساء .

وكان يزيد افتخاره كلما قال :

ــ بيتنــا .

قالوا :

ـ إذا لم ترمم البئر سنبقى بلا ماء •

فقال صاحب البيت :

ـ أنا لا أملك النقود الكافية •

ـ نحن لا نفهم هذا الشيء ، إننا ندفع لك الإيجار بشكل منتظم • ولهذا عليك ترميم البئر ، ولكن من الممكن أن نقدم لك خدمة ، سنقرضك نقوداً بالفائدة •

قال صاحب البيت :

ـ شكراً لكم ، لن أنسى جميلكم هذا ما حييت •

رمم البئر الذي كادت جدرانه أن تتهدم وبمناسبة ذلك أقام حفلة غداء ، ودعا المستأجرين إليها وبهذه المناسبة ألقيت كلمات الترحيب من كلا الجانبين • ومع مرور الزمن ازدحم البيت أكثر ولم تعد مياه البئر تكفي •

قالوا :

ـ افتح بئراً آخر ••

ـ معكم حق ، ولكن لايوجد لدي نقود تكفي •

ـ سنقرضك بالفائدة، كما أننا لا نرى أي حرج من ذلك ••

فكر صاحب البيت بالأمر : سيصبح البئر ملكه الخاص ، وستحيا حديقته عندما يزداد الماء ، ولهذا قام بحفر الآبار في الحديقة على الفور • وكان المشروع ينص على حفر ثلاثة آبار • ولكن لم يستطع حفر أكثر من بئرين وحفرة ، لأنه أعطى قسماً من النقود

التي استلفها لزوجته وبناته ، في الحقيقة إنه لم يعطهم النقود بل أجبر على إعطائهم إياها ، لأن زوجته وبناته عندما رأوا نساء وبنات المستأجرين ، أحبوا أن يقلدوهن ، فقال صاحب البيت لهم :

ــ إنهم أغنياء جداً ويملكون البيوت والحدائق ومع ذلك استأجروا في بيتنا لأن بيوتهم لا تتسع لهم لكثرتهم •

ولكن كل ما قاله لم يجدِ نفعاً ، فأعطى قسماً من نقود الإيجار إلى زوجته وبناته وأبنائه • المرأة والبنات اشترين بالنقود حمرة الخدود والظل ، والمسكرة والدهون والألبسة الداخلية والأحذية وأشياء تقليدية ، وذهبوا إلى الكوافير لقص شعرهن •

بعد مدة قال أحد المستأجرين :

ــ الطريق غير صالحة ، ولذلك نريدك أن ترصفها لنا •

قال صاحب البيت :

ــ لا أستطيع رصفها •

فقال المستأجر :

ــ أنت مجبر على ذلك لأننا ندفع الإيجار لك بشكل منتظم•

ــ لا أملك النقود •

ــ نعطيك قرضاً إن أردت •

فرح صاحب البيت بذلك وقال :

ــ أعطوني النقود •

نحن لا نحب الهدر ، وأنت كنت قد أعطيت نقود القرض الماضي إلى زوجتك وأولادك لكي يشتروا بها أشياء سخيفة ، ولهذا قررنا أن نراقب كيف تصرف هذه النقود •

ليكن ••• فالطريق الذي سيشق هو طريقه ، والبيت بيته ، ولهذا فقد كانت عيونه تلمع من شدة الفرح • وطرفا فمه يصلان إلى أذنيه وهو يقول : بيتنا •

قال المستأجر :

ــ إن السقف يرشح ، لم نعد قادرين على الجلوس تحته •

فكر صاحب البيت وقال :

ــ لا يوجد لدي نقود •

ــ أعطنا غرفة أخرى وبنقودها رمم السقف •

وبدأ صاحب البيت يقول لجيرانه المستأجرين :

ــ الله يرضى عنكم ، لولا وجودكم ما استطعت ترميم السقف أبداً •

قال المستأجرون :

ــ إن الدرج يهتز أجّر لنا ثلاث غرف أخرى وبنقودها رمم قاعدة الدرج •

قال صاحب البيت :

ــ بيتنا أصبح سليماً معافىً •

قال المستأجر :

ــ ثقبت التمديدات الصحية •

لم يبقَ في البيت أية غرفة للايجار ، فنقل أصحاب البيت أمتعتهم إلى الطابق السفلي • وعندما أجروا هذا الطابق أيضاً صرفوا النقود التي استلموها على ترميم التمديدات الصحية •

ــ طلاء البيت لم يعد مناسباً .

طلب نقوداً من أجل الطلاء . لم يجد نقوداً . فالنقود التي يأخذها كانت تصرف على ترميم البيت ، ومصاريف زوجته وأولاده التي ازدادت بازدياد طلباتهم .

بدأ موسم الصيف وبنى صاحب البيت كوخاً في حديقة البيت، وأقام فيه بعد أن أجّر كافة غرف البيت ، وطلى البيت فأصبحت جدرانه كالمرآة .

ــ الآن فقط أصبح بيتنا يشبه البيوت الرائعة .

قال المستأجر :

ــ يحتاج البيت إلى ورق الجدران .

لا أستطيع أن أعمل أيّ شيء .

ــ إن البيت بيتك .

ــ صحيح إنه بيته ولكن لا يوجد معه نقود ، وإذا لم يضع ورق الجدران ، فإن المستأجرين سيخرجون من البيت ويطالبون بديونهم الكثيرة .

بدأ المستأجرون بالمطالبة .

ــ إذا كنت لا تريد أن تجمل جدران البيت سنخرج منه . أما صاحب البيت الذي نسي تربيته القديمة وعاداته الأصيلة ، فقد قابل وقاحة المستأجرين التي بدأت تزداد بقوله : أرجوكم أن تبقوا في بيتي .

زوجة صاحب البيت بدأت تعمل طباخة عند المستأجرين ،

وأيضاً بناته وأبناؤه •• كلهم أصبحوا عمال مأجورين عند المستأجرين •

واشتروا ورق الجدران بالنقود التي حصلوا عليها لقاء ذلك •

لقد أصبح البيت القديم جديداً ورائعاً وكعادته القديمة كان صاحب البيت فخوراً ببيته عندما يدفع ضرائبه • كان فخوراً جداً بنفسه وهو يراقب بيته من بعيد •

كان المستأجرون لطيفين إلى درجة أنهم أنبوا صاحب البيت قائلين :

ـ أنت لا تعتني بزوجتك أبداً ، اشترِ لها حذاء جديداً ، واشترِ لبناتك جوارب جديدة بدلاً من جواربهم الممزقة ، فنحن لا نريد أن نرى هذه المناظر القبيحة أمامنا •

قال صاحب البيت :

ـ معكم حق ولكنني لا أملك نقوداً •

ـ هي الزوجة ، زوجتك والبنات بناتك عيب عليك ، ومع ذلك سنقدم لك المساعدة ••• شكرهم صاحب البيت •

وفي يوم من أيام الشتاء عندما كان صاحب البيت يجلس مع أحد أبنائه في الكوخ •• بينما زوجته وبناته وباقي أبنائه يلبون طلبات المستأجرين في البيت ، نظر الرجل من نافذة كوخه إلى بيته المزين وقال لولده الجالس إلى جانبه :

ـ في الحقيقة لقد أصبح بيتنا جميلاً جداً • أنا فخور به •

فسأله ولده :

ـ أي بيت ؟!!..

ـ وكم بيتاً نملك .. بيتنا الذي أمامك .

فقال ولده :

ـ على ما يبدو يا أبي أن هذا البيت لم يعد بيتنا .

وفجأة غضب الرجل وصرخ :

ـ ماذا تقول ؟!.. ليس بيتنا ؟!.. وكيف طاوعك لسانك على قول ذلك ؟!..

فقال الشاب :

ـ لدي إحساس بأن هذا البيت لم يعد لنا .. لا نجلس فيه ولا تتنزه بحديقته ولا نتمشى بطريقه ولا نشرب من مائه .

صرخ الرجل :

ـ ولكنه بيتنا ... إنه بيتنا .

وأخرج من جيبه ورقة مطبوعة وبدأ يلوح بها ويصرخ :

ـ انظر .. ها هو الطابو ، إنه باسمي أنا ، وأنا من يدفع ضريبته ... اخرج من هنا أيها الولد الخائن . إنني بريء منك إلى يوم القيامة .

وأثناء خروج الشاب مطأطىء الرأس من الكوخ ، راح والده يصرخ وهو يطوي الورقة ليضعها في جيبه :

ـ أيها الولد الخائن ... إني بريء منك ، ها هو الطابو في جيبي ..

عرفتم هذا البيت الذي نعيش فيه كلنا ، أظن أن هذا البيت قد ورثناه عن أجدادنا .

مواسير الميـــاه

ـ لا تدخل هناك يا سيدي ، قف بالطابور •

ـ لقد أتيت قبلك •

ـ لا ••• أنت الخامس عشر وأنا الرابع عشر •

ـ ماذا يفعل هذا الرجل في الداخل ؟! ما هذه الوقاحة ؟•

ـ أقف هنا منذ ساعة •

ـ يا سيدي ، لا يمكن أن تحل هذه الأزمة إلا بزيادة عدد المراحيض العامة •

ـ هيه ••• أنتم ••• الذين في الأمام ، دقوا على الباب ، هل مات الرجل في الداخل ؟•• ماذا حصل له ؟••

ـ دق •• دق •• دق •• أســرع يا صديقي ، هل طوّبت المكان باسمك ؟•• ألا ترى الناس الذين يقفون بالطابور ؟••

ـ ستذهب الباخرة ••

ـ ألم يكن من الأفضل لك لو ذهبت بالباخرة ؟••

ـ وهل ترى أن وضعي يسمح بذلك ؟ إني أقف هنا بصعوبة•

ـ يا سيدي إن مأكولات هذا المطعم تفسد برنامج الإنسان •

ـ عفواً ، سأطلب منك طلباً ، هل تعطيني دورك ؟••

ـ آه •• يا صديقي ، ألا ترى وضعي ؟••

ـ أسرع يا صديقي ... هيا ..

ـ نرجو أن لا يكون هذا الرجل قد مات بسكتةٍ قلبيةٍ .

ـ دقوا الباب ..

ـ انظر من ثقب الباب ...

ـ لا يُرى شيء ...

ـ أسرع يا صديقي .. أسرع ..

ـ تفو ... هل رأيت هذا الرجل ؟..

ـ يا للوقاحة ....

ـ ألم يكن من الأفضل لو بنوا هنا مرحاضين أو ثلاثة ... يا لأزمة المراحيض ...

ـ يا سيد ... هـل تعرف الأسماء التي تطلق على هذا المكان ؟...

ـ نعـم ...

ـ إذاً ... أنت ستقول اسماً وأنا أقول اسماً ولنرَ في النهاية من يعرف أسماء أكثر ، لنبدأ يا سيدي ...

ـ طريق القدم .

ـ مفسد الوضوء ...

ـ تواليت ...

ـ يا سيد ، أنت أتيت بعدي ، عُد إلى الخلف ...

ـ كبّينة ...

ـ النمرة مئة ...

ـ ما هذا العمل ؟.. لنكسر الباب .
ـ سُدّت وراءه .
ـ دبليوسي ...
ـ كـع .
ـ اسمعوا ... إني أسمع صوتاً ما في الداخل ..
ـ إنه يخرج على ما يبدو ..
ـ يا سيد .. الدور لي ...
ـ إنه يفتح الباب ...
ـ حيّرني هذا الرجل ...
ـ فُتح الباب ...
ـ أف ف ف ... على مهل ولَكْ ..
ـ إنه يهرب ...
ـ ابن الزانية ، لقد نزع مواسير المياه كلها ..
ـ إذاً ... دخل منذ الصباح لهذا الهدف .
ـ إنه يهرب ..
ـ الشرطة ...
ـ أمسكوا به ...
ـ **هرب ...**
ـ رجاءً .. ادخلوا في الطابور ...

لديه عمل مهم جداً

كان يركض مسرعاً في شـــارع الاستقلال اصطدم بأحــد الأشخاص القادمين فقال :

ـ عفواً ...

ضرب بكتفه رجلاً آخر كان يمر من أمامه ، نادى عليه رجل من الخلف :

ـ حسن بيك ...

نظر إلى الرجل الذي ناداه وقال :

ـ أنا آسف يا أخي ... أعذرني ... لدي عمل مهم جداً .

مشى وهو يشق طريقه بصعوبة وسط الزحام ، فقابله رجل فاتحاً ذراعيه يريد احتضانه وقال :

ـ حسن !!... أين أنت يا رجــل لم أرك منذ زمن ... أين أنت ؟..

فقال الرجل الذي على عجلةٍ من أمره :

ـ اعذرني سأراك لاحقاً إنشاء الله ، لدي عمل مهم جداً ... سيؤثر على حياتي .

وتقــدم بصعوبة وسط الزحــام ، فقابلته امرأة شابة جميلة وأنيقة ، وقالت له :

ـ أوه ... حسن بك ... كيف حالك ؟..

تكلم الرجل بصعوبة :

ـ آه ... أنا آسف يا سيدتي .. اعذريني ، لدي عمل مستعجل ، استودعك الله .

لو كان طريقه خالياً لركض لأن عمله مهم جداً . وعندما قابله أحد الأصدقاء قال بأن عمله مصيري وسيؤثر على مستقبله ..

وصل إلى التونيل : أمسك أحد الأصدقاء ذراعه بقوةٍ وقال:

ـ آه ... حبيبي حسن ...

فقال له :

ـ اتركني بحق الله. سيُقضى عليّ إن تأخرت خمس دقائق.

ـ قف لنتكلم كلمتين على الأقل ..

ـ أنا آسف لا أستطيع .

ـ في هذا العمل حياتي أو موتي .. إنه عمل مستقبليّ .

فقال صديقه وهو يحاول اللحاق به :

ـ ولكن هل تعلم ماذا سأتكلم ؟..

ـ إشرح ما تريد شرحه ، لا أستطيع أن أسمعك .

ـ هل تعلم ماذا حصل لفريق كلطا سراي في أنقرة ...؟!

وقف الرجل المرتبط بموعد من أجل عمل حياتي ومستقبلي ، وعاد إلى الخلف قليلاً حتى وصل إلى صديقه ، شبك ذراعه بذراع صديقه وقال :

بحق الله قل لي ماذا حصل ؟! (بس ما يكون انغلب) .

ـ ما هي النتيجة ؟..

وتمشيا معاً ودخلا إلى أحد المقاهي .

فرخ السمك السعيد

عندما رأى فرخ السمك ، الذي يحبه كثيراً يلعب في المـاء قال : أعطني فرخاً واحداً •• وأخذ فرخ السمك الطازج ، الخارج لتوه من الماء إلى بيته وقال لزوجته :

ـ يا امرأة ••• لقد اشتهت نفسي هذا الفرخ ، اطبخيـه لنـأكله •

عندما رأت المرأة فرخ السمك قامت قيامتها وقالت لزوجها :

ـ ألا تعلم بأنه لا يوجد نقطة ماء في البيت ؟! منذ شهر لم تزر نقطة ماء صنبورنا ، كيف سأغسل فرخ السمك في الوقت الذي لا أجد نقطة ماء أغسل بها وجهي • فقال الرجل :

ـ يا حبيبتي اغسليه بماء الشرب •

ـ ماء الشرب !!•• أين ماء الشرب ؟•• لقد نشف حلقي من العطش ••• لو وجدت ماء الشرب لشربت أنا • منذ أسبوع لم يمر بائع الماء حتى في البقاليات •• لا يوجد ماء شرب •

ولأن الرجل يحب فرخ السمك ، فإنه مستعد لقبول أي شيء ولذا قال لزوجته :

ـ لا تغضبي يا حبيبتي ولِمَ نغسله وهو قد خرج للتو من ماء البحر المباركة النظيفة ؟!•• اقليه بزيت زيتون دون غسيل ••

وعندما سمعت الزوجة •• هذا الكلام ركبت الشياطين رأسها من الغضب وقالت :

ــ هل تسخر مني ؟•• أين زيت الزيتون ؟ تتكلم وكأنك لا تعرف شيئاً ، منذ زمن لم أرَ نقطة زيت زيتون عند البقال •

ماذا سيفعل الرجل ؟ يريد أن يأكل السمك الذي اشتراه مهما كانت الظروف ••• فقال لزوجته :

ــ لقد تراجعت ، لا تقليه ••• اشويه فالشواء لا يحتاج للماء ولا يحتاج للزيت •

انتفضت المرأة وقالت :

ــ تتكلم وكأنك اليوم قد أتيت إلى هذا البيت •

أين سأشوي السمك ؟ تتكلم وكأن الغاز متوفر لدينا ••• هل تسخر مني ؟!•• على الأقل قديماً كان يخرج هواء من صنابير الغاز ، الآن حتى هذا الهواء لم يبق •••

وهنا غضب الرجل كثيراً ، وأخذ فرخ السمك إلى شاطىء البحر ••• أمسكه من ذيله ورماه في الماء ، وبعد أن غطس الفرخ في الماء قليلاً قفز إلى الهواء وهو يهتف :

ــ تحيــا الحكومة ••• تحيــا الحكومة ••• وغطس ثانية في الماء •••

يقظة الناس

ثمة صعوبة واجهته حين خروجه من سجنه الأخير • ملّت روحه من المنفى في منطقة نائية بعيداً عن حياة المدينة • وعندما عاد من المنفى كان يجد نفسه وحيداً في زحام المدينة • حال دخوله إلى السجن طلبت زوجته الطلاق وحصلت عليه •

إنسان بموقف كهذا لاشك أنه سيصاب بالتشاؤم شاء أم أبى، خصوصاً عندما لا يملك نقوداً تكفي أجرة الطريق ، ما الذي كان يجب عليه القيام به •• أن يترك السياسة ويمارس عملاً ما ؟!••

في البداية يجب عليه أن يجد سقفاً يأوي تحته ، ولكن ارتفاع أسعار البيوت كان يشكل عائقاً أمامه ، وهذا الارتفاع في الأسعار زحفت عدواه إلى أطراف المدينة أيضاً ، ولأنه لم يستطع أن يدفع أجرة البيت الذي كان يستأجره جاء موظفو الحجز وحجزوا على آلته الكاتبة وعلى عدة أشياء أخرى قديمة • بعد ذلك أصابه الملل والقرف خاصة وأن جيرانه بدأوا ينظرون إليه على أنه مخلوق غريب • لقد كره عيونهم الغريبة المخيفة وكره تلك النظرات العدوانية ولهذا بدأ يبحث عن بيت رخيص وهادىء خارج المدينة•

وجد بيتاً مؤلفاً من غرفة ونصف في منطقة مخالفات تبعد قرابة

الساعتين مشياً على الأقدام • المنطقة هنا عبارة عن حارة صغيرة مبنية من الخشب والتوتياء ومتربعة فوق هضبة ، ومن حسن حظه أن البيوت هنا متباعدة قليلاً مما يؤمن له بعض الراحة • لم يكن يجد في بيته سوى شوالين من الكتب وعدة أشياء أخرى قديمة • ووضع أوراق جرائد قديمة على النوافذ بدلاً من الستائر •

المهم أنه كان سعيداً بهذه الحياة الجديدة ، ولكن ما كان يعكر صفو سعادته هو أنه لم يجد عملاً يعمل به ولذلك كان البحث عن عمل من الأولويات ••

أمام البيت كان يوجد كشك سمانة • وعلى يساره وفي محل غير متناسق كان الخضري يمارس عمله • كان يتسوق من هذين المحلين ، ومع مرور الزمن أصبح صديقاً للسمان والخضري اللذين كانا يتذمران دائماً من قلة المرابح حيث مبيعاتهما لم تكن كما يجب •• فلم يكن يدخل إليهما في اليوم أكثر من ثلاثة أو أربعة زبائن وهؤلاء لم يكونوا من جماعة القطط السمينة التي يمكن أن تدفع دون حساب وبسبب قلة رأسمالهما لم يكن بوسعهما التوسع في أعمالهما •

بعد مكوثه في منطقة المخالفات بعدة أيام جاء بائع كعك واستوطن في زاوية كان يأتي بعد الظهر من كل يوم ويبقى حتى غياب الشمس ، وتلاه بعد عدة أيام بائع البوشار •

وعلى زاوية دكان الخضرة جاء رجل على عربة للحلويات ، وبدأ يمارس عمله ، في هذه الأثناء جاء البويجي ، وبعده بائع

مشروبات متجول . وتحت مظلة قديمة جلس كندرجي لتصليح الأحذية القديمة . بعد مدة قصيرة أقيم سوق" للبيع مقابل منطقة المخالفات ، وبعد ذلك جاء الزبّال وبدأ عمله بكنس الشوارع من الصباح حتى المساء .

نستطيع القول إنه بعد مـدة وجيزة أصبحت المنطقة مليئة ببائعين لكل الأصناف التي نرغب بها ، وقد أقيم مقهى ريفي بين الخضري والسمان ، وبدأ الناس ذهاباً وإياباً ، إياباً وذهاباً إلى الحـارة .

أما بالنسبة للغرف التي كانت غير مسكونة فقد أجّرت جميعها .

كان صاحبنا يشعر بالسعادة في هذا الجو المريح السعيد، ولكنه مع الأسف لم يزل بلا عمل مع العلم أنه لم يترك مكاناً دون أن يبحث فيه عن عمل ، ولكن لم يجد أي عمل ، وعندما كان يحالفه الحظ ويجد عملاً ما ، كانت عناصر الشرطة تسبقه إليه ويقدمون هويته لصاحب العمل فيطرده منه على الفور .

كان من الصعب عليه أن يستدين مـن أصدقائه وذلك لقـلة نقودهم ، ولأنهم مثله أيضاً بلا عمـل ، لهذا قرر أن يسكن مع صديق له يعيش في غرفة داخل المدينة وذلك على الأقل كي يتخلص من إيجار الغرفة التي أخذها في منطقة المخالفات . لقد عرض عليه صديقه هذه الفكرة وقبلها ولكن كيف سيخرج من هذه الحارة وقد غرق بالديون للسمان والخضري وعدة بائعين آخرين ...

أثناء جلوسه في إحدى الأمسيات يفكر بالأشياء التي يمكن

بيعها كي يسدد ديونه . دُقّ باب غرفته .. كان يقف أمام الباب ثلاثة أشخاص ، السمان ، والخضري وصاحب المقهى . وبكل خجل دعا ضيوفه الثلاثة إلى غرفته البائسة ..

ـ لا تؤاخذوني لن أستطيع أن أقوم بواجب ضيافتكم ، فليس لدي قهوة ولا أي شيء آخر .

ابتسم السمان وهو يضع الأكياس فوق الطاولة :

ـ لا تهتم كثيراً لهذه الأمور فقد أحضرنا بعض الأشياء ... قهوة وسكر و ...

في الحقيقة لقد أدهشه كثيراً ، لماذا أحضروا هذه الأشياء ؟.. في البداية ظن أنهم أتوا إليه مطالبين بديونهم فماذا تعني هذه الهدايا ؟!!

قال الخضري :

ـ إذا كان ما سمعناه صحيحاً ، فأنت تريد أن ترحل من هنا ... أليس كذلك ؟!

ـ نعم سأرحل ..

الآن فهم سبب مجيئهم إليه .. لابد أنهم سمعوا برحيله .. ظنوا أنه يريد أن يرحل دون أن يدفع ديونه .

ـ نعم سأرحل ولكن من أين سمعتم برحيلي ؟..

قال صاحب المقهى :

ـ نحن نسمع ، ونسمع من المكان الموثوق .

ـ لا تخافوا ، لست من الذين يمكن أن يرحلوا دون أن يسددوا ديونهم .

قال صاحب المقهى :

ــ لقد أخطأت بحقنا يا صديقي ، أتظن أننا أتينا لنطالبك بشيء ؟..

وأردف السمان :

ــ وكم هي هذه النقود ، لا تستأهل حتى أن نتكلم بها ..

قال الخضري :

ــ أنا من جهتي لا أريد شيئاً ، حتى لو أردت أن تدفع فلن آخذ قرشاً واحداً منك ...

ــ ولكن لماذا ؟!..

ــ عرفنا قيمتك يا سيدي ، ولن ننسى جميلك أبداً .

كأن لقمة وقفت بحلقه فلن يستطيع أن يقول سوى :

ــ أستغفر الله ...

معنى ذلك أنهم يعرفونه ، ويعرفون أنه فعل ما فعله من أجل الشعب الكادح .

إذاً .. ما معنى تشاؤمه من السياسة ؟.. فمثل هؤلاء الناس يستحقون فعلاً أن يضحي بنفسه من أجلهم .

قال صاحب المقهى :

ــ أرجوك أن تتراجع عن قرارك بالرحيل من هنا .

وتابع الخضري :

ــ نعم نرجوك أن تتراجع عن قرارك .

ــ ولكنني مضطر للرحيل لأنني لا أستطيع أن أدفع إيجار البيت .

قال الخضري :

ـ نعرف •• نعرف كل شيء ولذلك قررنا نحن أصحاب الدكاكين بعد التفكير والتمحيص أن نجمع أجرة كل شهر وندفعها لك •• يكفي أن تبقى بيننا •

قال السمان :

ـ يكفي أن لا تفارقنا •• ولا تفكر بالإيجار •

اغرورقت عيناه بدموع الفرح ولولا الخجل لسلّم نفسه إلى موجة بكاء عميقة • لأول مرة يحصد نتيجة نضاله من أجل هذا الشعب •

قال :

ـ لا يمكن أن أقبل •• ثم ليس هناك فقط مشكلة الإيجار إنني بلا عمل والحياة هنا صعبة للغاية ، ولهذا سأنتقل إلى بيت صديقي •••

قال صاحب المقهى :

ـ منذ عدة أيام ونحن تجار هذه المنطقة نتحدث بهذا الموضوع • فكرنا بكل شيء حتى بأمور معيشتك وبالنسبة لمصروفك الشهري فسوف نشترك جميعاً ونقدمه لك مهما كان •• ولكن لا تخرج من بيننا ••• لا تتركنا يتامى من بعدك •

وبدأ الثلاثة بالتوسل •

بصعوبة منع نفسه من البكاء ، ومهما يكن من أمر ، ومهما قالوا عن هذا الشعب ، فلن أستطيع إلا أن أقرّ بهذا التطور الذي

لحق به ، وبهذا الوعي المنقطع النظير الذي عـمّ المواطنين ••
المهم إننا لم نناضل كل تلك السنين من أجل لا شيء • هؤلاء الناس ــ قديماً ــ لم يكن أحد منهم يرد علينا السلام •

ــ شكراً لكم •• لقد أخجلتموني وأثرتم عاطفتي ، ولكن لا أستطيع أن أقبل هذه المساعدة •

ومن جديد بدأت التوسلات •

قال السمان :

ــ هذا المكان لايليق بك • وهذا البيت غير صالح للسكن•• وإذا كان هذا البيت لا يعجبك فإنه يوجد بالقرب من هنا بيت من طابقين نستأجره لك فوراً ، خصوصاً أن فيه حماماً رائعاً •

قال صاحب المقهى :

ــ كل ما نريده منـك هو أن لا تترك هـذه الحارة ••• لا تبتعد عنا •

بدأ تعجبه يزداد :

ــ نعم ولكن لماذا تريدون مني البقاء هنا ؟••

ــ السبب واضح يا سـيدي فكل هـؤلاء التجار ازدادت أرباحهم ومبيعاتهم بسبب وجودك بيننا •

ــ أستغفر الله ، ولكن أنا لا أشتري شيئاً يذكر •

ــ ليس ماتشتريه هو مقصدنا، بل القصد هو أن وجودك بيننا بركة لنا ، لقد جلبت السعادة لنـا • قبل مجيئك لم يكن عدد زبائني أكثر من ثلاثة أو أربعة زبائن في اليوم وعندما جئت أسعدت المنطقة ، انظر ••• كل يوم يفتتح محل جديد •

قال السمان :

ــ كل هذا بسببك •

قال صاحب المقهى :

ــ ارأف بنا ، إذا ذهبت من هنا (سنأكل هوى) بذهابك ، وفي المقدمة أنا سأكون مضطراً لإغلاق المقهى •

ــ إذا رحلت عن هذه الحارة ستعود كماكانت قديماً، وتموت الحركة والحيوية فيها •• سيتفرق التجار في كل مكان وأطفالنا•• أطفالنا سيموتون من الجوع والبؤس بعد ذلك ••

أضيفت الآن حجة إلى الحجج والتوسلات التي يقدمونها منذ الصباح • الأطفال يجب أن يُرأف بهم • كلهم يعيشون هذه الحياة السعيدة بسببه •• حتى إذا أراد سيقدمون له راتباً شهرياً •

ــ شكراً لكم •• ولكن لم أقدم لكم خدمات تذكر وما الذي قدمته لكم ولأطفالكم حتى تتمسكوا بي ولا تريدون أن أرحل عن هذه المنطقة •

قال الخضري :

ــ ماذا يمكن أن تقدم بعد كل ما قدمته ؟•• نحن لا نستطيع أن ننسى جميلك أبداً •• عندما أتيت إلى حارتنا بعثت وراءك الحكومة المخبرين كي تبقى تحت الأنظار ، فجاؤوا في أزياء البويجي والزبال ••• ومن أجل مراقبة هؤلاء المخبرين وضعت الحكومة مخبرين آخرين وأصبحت هنا حارتهم •

قال السمان :

ـ في البداية كان لابد أن يسألونا عن أخبارك وما الذي تقوم به •

وتابع الخضري :

ـ هؤلاء بدأوا يشترون من عندنا ، وبعدها جاء الكندرجي وبائع الحلويات والكعك والمخللاتي وغيرهم •

تابع صاحب المقهى :

ـ وأنا يا سيدي وبسبب هذه التطورات قمت بإنشاء هذا المقهى ، يجلسون من الصباح إلى المساء يلعبون الورق والنرد ، على الأقل إذا شرب كل منهم ثلاثة أو أربعة فناجين قهوة أو شاي يكفي •••

نظر إليهم بحزن •••

ـ كل هؤلاء مخبرين ؟••

ـ منهم المخبرون ومنهم غير ذلك ، عندما يجتمع عشرة أشخاص في مكان ما يجتمع بجانبهم خمسون شخصاً •• والآن إذا رحلت من هنا سيعود كل شيء كما كان قديماً وسيذهب وراءك كل المخبرين •••

فقال السمان :

ـ ونكون قد احترقنا بذلك •

تابع الخضري :

ـ ارأف بهؤلاء الفقراء ••

وأردف صاحب المقهى :

ـ على الأقل لا ترحـل قبـل أن نكون قد جمعنا رأسمالٍ محترم ...

فكر بكل ما قالوه ... عندما يرحل إلى مكان آخر سيحصل له ما حصل هنا :

ـ قبلت ... لن أرحل من هنا ولكن خذوا ما أحضرتموه معـكم ... وأعطى الأكياس الأربعـة التي كانت موجودة على الطاولة إلى السمان .

قال الخضري وهو يخرج :

ـ هل نبشّر بقية الأصدقاء ؟..

ـ نعم لن أرحل ولن آخذ منكم شيئاً ..

فقال صاحب المقهى :

ـ الله يوفقك ...

ما نهاية هذا الغلاء ؟!

كان لي جاران لا يحب أحدهما الآخر •• أرادا أن يصبحا غنيين عن طريق العمل بالتجارة ، فأرادا توظيف المال الذي حصلوا عليه كتعويضٍ تقاعدي •• ولأن معرفتهما بالتجارة وأمورها كانت ضحلة فقد اتجه كل واحد منهما لمن يعينه ، فاستشار جاري الأول خبيراً في الشؤون المالية ، فأشار عليه هذا الأخير أن يشتري بكل النقود التي بحوزته ذهباً ، لأن أسعار الذهب سترتفع إلى الضعف بعد فترة وستحقق له أرباحاً طائلة •

أما جاري الثاني فقد استشار خبيراً في الاقتصاد ، فأشار عليه بأن يشتري بكل أمواله حديداً للبناء ، لأن أسعار الحديد سترتفع بعد فترة وجيزة إلى الضعف وتحقق له أرباحاً هائلة •

وقد فعل كلا الجارين بما أوصاهما به الخبيران ، فاشترى الأول ذهباً بماله ، واشترى الثاني حديداً •

واستشار الأول خبيره المالي بما يفعله بالذهب فأشار عليه بأن يبيعه ، ولما فعل حصد أرباحاً مضاعفة ، عندها أشار عليه الخبير أن يشتري بها كلها ذهباً من جديد، لأن أسعاره ستعاود الارتفاع، وفعل ، ولكنه هذه المرة رأى أن كمية ما يقدر على شرائه من

الذهب قد أضحت نصف المقدار الذي اشتراه سابقاً ، لأن الأسعار قد تضاعفت •••

أمـا جاري الثاني فقد بـاع الحديد الذي اشتراه وحصد الأرباح واشترى حديداً من جديد •• والكمية نصف كمية الحديد الذي اشتراه أول مرة • لأن أسعار الحديد قد تضاعفت كثيراً •

ومن جديد باع صاحب الذهب ذهبه واشترى بالأموال التي جناها ذهباً بكمية أقل وأقل ، فالأسعار ترتفع بجنون ، وكذلك صاحبي بائع الحديد باع بضاعته واشترى بالأموال حديداً ، أقل مما اشتراه سابقاً •••

وتزايدت أرباح كلا الرجلين ، وخاصة صاحبنا بائع الذهب الذي قال في نفسه : لو أنني مارست هذا العمل منذ أيام شبابي لكنت الآن « مليارديراً » •• وهكذا استمر في تجارته وأرباحه •

ولكن في أحد الأيام وجد تاجر الحديد مشنوقاً بواسطة حبل معلّق بمسمار حديدي غليظ مثبت بأحد جدران المنزل • ووجدوا بجانبه وصية كتب فيها :

« إن كل النقود التي جمعتها لم تستطع أن تشتري لي إلا هذا المسمار الحديدي الذي علقت به مشنقتي •• لا يوجد أي شخص مسؤول عن حادثة شنقي ••• أما هذا المسمار وهو كل ثروتي فأوصي أن يوضع بشكل عمود في أسفل قبري » •

لقد شارك بائع الذهب في جنازة جارنا بائع الحديد وحزن كثيراً وقال لي ودموعه تزرف بغزارة :

ـ إن جاري محظوظ لأنه على الأقل استطاع أن يشتري مسماراً يعلّق به مشنقته بما جمعه من أموال طيلة حياته ، أما أنا فماذا أفعل ؟!! لقد اشتريت بكل المال الذي بحوزتي ذهباً وفي كل مرة كانت الكمية تقل إلى النصف وتصغر إلى أن اشتريت في آخر مرة بكل المال كمية لا أتذكر أين وضعتها لصغر حجمها ... يبدو أن زوجتي نثرتها مع الغبار عندما كانت تكنس البيت والنوافذ مفتوحة . لقد اختلطت أموالي مع الغبار وطارت في الهواء .

لا أدري ماذا حصل لأموالي « فص ملح وذاب » .

كلب من نوع ترونغ

كان علي أن أقضي أسبوعين في عاصمة دولة شرق آوسطية ، وعلي أن أنهي أعمالي خلال الأسبوع الأول والأسبوع الثاني سأقضيه بضيافة صديق لي يعمل سفيراً هناك .

ونظراً لأنني كنت مشاركاً بأعمال القمة العالمية ، لم أستطع الذهاب إلى السفارة .

وفي المساء اتصلت زوجة السفير هاتفياً بالفندق الذي أقمت فيه . وفي صباح اليوم الثاني حضروا إلى الفندق وأخذوني منه . كان السفير وزوجته صديقين حميمين لي . وكانت علاقتهما تتميز بالبرود قليلا كما أنني أحسست بوجود بعض التوتر الذي كان يسود هذه العلاقة مع أنهما حاولا ألا يظهرا هذا التوتر ، ولكن لم ينجحا إذ أن أي زوجين لا يستطيعان إخفاء البرود في علاقتهما أمام الضيوف ، ولم يكن من الصحيح أن أسألهما بشكل مباشر ولكن نظراً لقربي منهما فقد شرح لي الزوج بعض الشيء ... كانت زوجته تحب كل أنواع الحيوانات .. لقد تفهم صديقي هذا الحب واعتبره شيئاً طبيعياً ، خاصة أنهما لم يرزقا بأطفال . كان مبنى السفارة مليئاً بكل الأنواع الحيوانية ، القطط ، والكلاب ، العصافير ، وبعض هذه الحيوانات جُلبت

من استانبول • لم يقل صديقي شيئاً ، ولم ينزعج من وجود هذه الحيوانات ولكن في يوم من الأيام جلبت زوجته كلباً وسخاً من الشارع . وأدخلته من باب السفارة وكان جلده ملتصقاً بعظامه وقد كان كلباً مريضاً متسخاً ، مجروحاً لا يليق بزوجة سفير محترم • كانت تمضي يومها كله خارجة إلى حديقة السفارة ، تطعمه لكي يشبع • وكان هذا الكلب القليل الحياء عندما يجوع يظل ينبح وينبح حتى يحضروا له الطعام • وكم مرة استيقظت زوجة السفير ، وغادرت سريرها لكي تقدم الطعام لكلب الشارع هذا ، حتى أنها لم تترك هذا العمل للخادمة لكي تقوم به بل كانت تقوم بهذا العمل بنفسها • أيمكن أن توجد محبة بهذا النوع !!• ولم تقم الزوجة بهذه الأعمال فحسب بل كانت تلبس القفازات بيديها وتداوي جروح الكلب ، وتغسله بالصابون حتى أصبح هذا الكلب نظيفاً وجميلاً جداً ••• وقد بدأ جماله يزداد ، وبطنه يكبر وينتفخ وتبين أن كلب الشارع هذا أنثى لذلك انتفخ بطن الكلبة حتى أصبحت ثلاثة أضعاف حجمها فأوشكت أن تلامس الأرض وهي تمشي ••

وهكذا حدث ما كان يخاف منه صديقي ، إذا ولدت الكلبة خمسة أو ستة جراء صغيرة وبدأت النباح عند باب السفارة •• ماذا سيفعل عندها؟••وإذا جاء إلى السفارة شخصية رسمية، وقوبلت بهذا العدد من الجراء مع أمهم !!؟ وإذا قوبل أي مبعوث دولة بهذه الجوقة من الجراء •• وقد كان حزن صديقي يزداد كلما اقترب موعد ولادة الكلبة خاصة وأن هذه الكلبة لم تعد تحب

مغادرة السفارة • وفي الحقيقة كان باستطاعة صديقي أن يقتل هذه الكلاب • ولكن إذا فعل كيف سيحل الأمور مع زوجته التي تعبت كل هذا التعب عليهم • وكلما اقترب موعد الولادة أكثر كانت الكلبة تحاول أن تدخل أي مكان مغلق كي تضع جراءها فيه ، ولهذا فقد حاولت الدخول إلى مبنى السفارة وفي هذا الوقت جاءت الزوجة ذات القلب الرقيق إلى زوجها وطلبت منه أن يسمح لها بإدخال الكلبة إلى السفارة أي إلى حديقة السفارة حتى إذا سمح بدخول هذه الكلبة فإن بقية الكلاب ستغار منها وتريد أن تدخل السفارة ، فقال صديقي :

ـ طبعاً سمحت لها بإدخال الكلبة وهل أستطيع أن أفعل شيئاً آخر حتى أنني وجدت أن وجود الكلبة داخل الحديقة أفضل من وجودها أمام باب السفارة كما أن هذا اللقاء سيكون لأول مرة بين الكلبة وصغارها الذين في الحديقة ، كانت الكلبة تلد مباشرة ولكن كم جرواً ولدت ؟ سبعة جراء • وبعد شهر واحد أصبحت هذه الجراء تلعب مع أمها في الحديقة حتى حولوا الحديقة ذات الأزهار الجميلة والأعشاب الخضراء إلى خراب لا يُطاق •

كانت الجراء السبعة وأمهم يركضون في الحديقة فوق الأزهار ويلعبون ، فماذا برأيكم سيحدث لهذه الحديقة ؟•• لقد كاد السفير أن ينفجر غيظاً ولكن كل شيء يليه شيء آخر • فبعد عدة أشهر بدأ بطن الكلبة بالانتفاخ ووضعت تسعة جراء أخرى • قال السفير لي :

لقد حضرت في الوقت المناسب • فسألته :

ـ وأي وقت ؟!!

فقال :

أنت الوحيد الذي يمكنه أن يخرجنا من هذا المأزق • فلم يعد للراحة في هذا البيت مكان ، لا أعرف ماذا سأفعل ، يوجد الآن في الحديقة سبعة عشر كلب شوارع ، ولم يبق في الحديقة لا أزهار ولا أعشاب ولا أي شيء آخر ••• تخيّل الآن ماذا سيحدث عندما تتكاثر هذه الكلاب السبعة عشر ••• ساعتئذٍ سأنفجر حتماً • وعندما جلست مع زوجة السفير فتحت نفس الموضوع ؛ إنها تعترف بأن زوجها على حق فلا يستطيع أي إنسان أن يحتمل هذا الشيء • ولكن ماذا ستفعل هذه المرأة المسكينة ؟••• لقد ندمت لتلك الساعة التي عطفت فيها على كلبة الشارع هذه فأطعمتها •• فلم تعد تحب مفارقة باب بناية السفارة بعد أن ألفته وألفت طعامه ••• ونتيجةً لإحساسها بالندم فقد حاولت التخلص من هذه الكلاب دون علم زوجها أكثر من مرة •• ففي إحدى المرات وضعت الكلاب في صندوق سيارة كبيرة ، وأخذتهم إلى مكان بعيد جداً ، ورمتهم فيه ، وسكبت وراءهم دموعاً كثيرة •• حتى أنها رأت هذه الكلاب في الكوابيس التي أصابتها •• وفي صباح اليوم التالي رأت الزوجة الكلبة الأم في الحديقة ، وبعدها أتت الكلاب جميعها •• ما الذي يمكن أن تفعله الزوجة ؟•• إنها لا تستطيع أن تقتل الكلاب / عينك عينك / •

وبعد أن شرحت همها بقولها : لي عندك رجـاء أرجو أن تحققه لي • فقلت لها : أستغفر الله ، وما هو ؟••

هنا طلبت مني مثلما طلب زوجها ، وهو أن أجد حلاً لهذه المعضلة ، إذ أنني الوحيـد الذي يستطيع أن يجد حـلاً لهذه المشكلة •

ولكن ما أدراكم بأنني سأجد حلاً لهذه المشكلة فلم أدخل في حياتي مشكلة خاصة بالكلاب •

ومع ذلك فقد قلت الحل الذي رأيته صحيحاً •• بادرتها : معارفكم كُثُر في هذا البلد ، ولديكم أيضاً معارف من الوسط الدبلوماسي ، فلمـاذا لا توزعون لكل واحـد منهـم كلبـاً واحداً ؟!••

ــ آه ••• هل تظن أني لم أفكر بهذا الحل ، لقد رجوت جميع الأصدقاء والمعارف، حتى إنني توسلت إليهم، ولكن لم يقبل أي واحد منهم أن يأخذ أي كلب •

ولأنني أحب الزوج والزوجة كثيراً ، فقد بدأت بالتفكير في حل وتسوية النزاع القائم بينهما • وفي الليلة التالية أقيم حفـل تعارف في السفارة ضم أعلى الطبقات الاجتماعية في البلد ونخبة الطبقة المخملية ، وقد دعي المشهورون والتجار والدبلوماسيون •

حاولت التقرب من أحد التجار الأغنياء الذين عرفوني عليهم، وحاولت أن أوجه الحديث الدائر بيني وبينه ليكون حول الكلاب •• فبدأت بعدّ أسماء أجناس الكلاب • في الحقيقة كانت معرفتي بأجناس الكلاب قليـلة للغاية ، ولكن سـاعدني في التمادي في

الحديث قلة معرفة التاجر باجناس الكلاب ، فقلت له : أنت تعرف طبعاً أن جنس الترونغ هو أفضل أنواع الكلاب الموجودة حالياً .

ــ قال : صحيح ...

ولكن مع الأسف لا يوجد من هذا الجنس في بلدنا .

فقلت :

ــ السبب في ذلك أنه غالباً ما تكون الولادات كثيرة عند الكلاب .. ولكن نوع الترونغ قليل التكاثر ، وذلك لصعوبة تهجينه ...

بدأ اهتمام الرجل بالترونغ يزداد شيئاً فشيئاً ، وأنا بدأت أقدم خدماتي ومعرفتي حول هذا النوع .

قال :

فعلاً ، إن أراد الانسان أن يقتني كلباً في بيته فليكن من نوع الترونغ لا من نوعٍ آخر .

قلت :

ــ يوجد عند سفيرنا كلبان ، وأنا واثق من أنه سيعطيك أحدهما إن رجوته ، وذلك لأنه يحبك كثيراً ، ولا أعتقد أنه سيعطي أحداً غيرك ، كما لن يستطيع أن يخجلك .

وبعد ذلك وجدت مناسبةً لأترك الرجل ، وأقول لزوجة صديقي : لقد سفّرنا أحد الكلاب .

ــ يا إلهي لنعطِه الأم إذاً ، لأنني أعتقد أنها حامل ، وكم أخاف أن تلد أحد عشرَ جرواً هذه المرة .

وفعلاً هذا ما حدث •• فقد طلب التاجر من سفيرنا أن يعطيه أحد كلاب الترونغ ، ولكن السفير دهش وقال :

ــ ماذا ؟! ترونغ !••

تدخلت مباشرة وقلت :

ــ لا تخف ما لديك •• هيا ، إن السيد يعرف بأنك تقتني ترونغ في بيتك وقد قال بأنه سيكون مسروراً جداً لو أعطيته أحدها •••

وبعد انتهاء الحفل وضعنا كلبة الشوارع في سيارة التاجر •

وبعد يومين دعونا الأشخاص لحفل جديد ، فقلت لقنصل اخترته منذ بداية الحفل : هل ذهبت إلى إسبانيا ؟

فقـال :

ــ كلا لم أذهب •

فحدثت نفسي قائلاً: « لقد أصبت الهدف » لأنني أنا أيضاً لم أذهب إلى إسبانيا ، وبدأت أحدث القنصل عن مزايا إسبانيا وخصائصها :

ــ أكثر شيء أدهشني في إسبانيا الكلاب التي تنتمي إلى جنس الترونغ • طبعاً أنت تعرف كلاب الترونغ !!••

فقـال :

ــ لم أرها ، ولكني سمعت بها •

ــ أنا واثق بأنك سمعت بها ، فهي من الكلاب المشهورة جداً ولا أرى عجباً لأنك لم ترها ••• ذلك لأنها نادرة الوجود • إن إسبانيا تربح عملة صعبة من بيع هذه الكلاب ••

ـ هل تصدرها ؟!••

ـ كلا تبيع الكلاب للسائحين فقط ، تقريباً هناك واحد من كل ثلاثة سائحين يشترون هذا النوع من الكلاب •• فما رأيك إن قلت لك أن الإسبانيين لا يبيعون أنثى الترونغ مطلقاً ، إنهم يبيعون الذكر فقط • فكل ذكر ترونغ يباع بمقدار ما بين مئتين وخمسمئة دولار ، ولكن لو دفعت لهم ألف دولار لا يبيعون أنثى الترونغ ويحاكم كل رجل يبيعها •

فقال القنصل :

ـ وما نفع الذكر بدون أنثى •

فقلت له :

ـ يوجد عند سفيرنا اثنتان من أنثى الترونغ ولا أدري إن كان سيعطيك إحداها إذا رجوته ، تفضل لنذهب إليه وأحدثه باسمك •

ذهبنا إلى جانب سفيرنا الذي كان يتحدث مع سفير آخر •• اعتذرت منهم وقلت :

ـ عفواً ••• سأرجوك باسم السيد القنصل وأطلب منك طلباً ••• إن السيد القنصل يهوى اقتناء الكلاب وخصوصاً الكلاب من جنس الترونغ •• فهل تستطيع أن تعطيه إحدى الاثنتين اللتين بحوزتك ؟•••

فقال القنصل :

ـ أنثى فقط •• والله حرام •• أتمنى أن تعطيني زوجاً من الكلاب أنثى وذكرها ••

فقال صديقي :

ـ بكل سرور •

فتدخل السفير الآخر قائلاً :

ـ أ آ ••• أنا أيضاً أريد واحدة •

يا إلهي ••• سنعطيك •

وبذلك استطعنا أن نوزع أكثر من سبعة عشر كلبة شارع قبل أن أترك العاصمة •• مع العلم أن كلاب الشارع الأخرى مازالت تبحث عن لقمتها في القمامة •

أتى صديقي إليّ قبل أن أغادر المدينة بيوم واحد وقال :

ـ ماذا جرى ؟••

اتصل بي هاتفياً أحد السفراء وقال : « سمعت أنه يوجد عندك كلاب ترونغ •• أرجوك أن تعطيني واحداً منها •• » •

فقلت :

ـ أعطِه •••

ـ لم يبق لدي أي كلب فقد وزعتها كلها ، ولكن هل تدري أين تكمن صعوبة الموقف ؟•• إن السفير طلب مني كلب الترونغ وسيأتي غداً ليأخذ الكلب وسيكون معيباً جداً إذا لم أعطه ما يريد •••

ليس عيباً أبداً ، ولكن عرفت السبب الكامن وراء إصرار صديقي على إعطاء الترونغ إلى السفير •• إنه يريد إعطاءه كلباً لأن كل الذين أخذوا الكلاب كهدية بعثوا إلى زوجة صديقي الهدايا وذلك كردٍ لهدية صديقي السفير ••

قالت زوجة السفير :

ـ عجباً لهؤلاء الناس، كم رجوت زوجة السفير الذي يرجونا لإعطائه كلباً كي تأخذ إحدى هـذه الكلاب ، ولكنها رفضت ، والآن يتوسلون لكي نعطيهم كلباً •• طبعاً ، لأنها لا تريد أن تأخذ كلب شوارع ، فهي تريد أن تأخذ كلباً أصيلاً •• إنه كلب الترونغ • والآن ماذا سنفعل ؟!! ••

قلت : سهل جداً ، لا تحزني ، سأجد حلاً لذلك •

بعثت أحد موظفي السفارة إلى الشوارع وجلب لنا إحدى الكلاب ، وقد كان وسخاً للغاية •

اتصل سفيرنا هاتفياً مع الذي يريد الكلب وقال :

ـ بقي لديّ كلب واحد ، وقد وددت أن أبعثه لك ، ولكنه في الحقيقة مريض جداً •

ـ ليكن مريضاً ، سيعالجونه في البلد الذي سيذهبون إليه •

وبذلك اكتسب كلب الترونغ شهرة عمت نصف العالم ، إن لم نقل كله • ها قد مرّ الآن أكثر من شهر على هذه الحادثة •• البارحة استلمت رسالة من صديقي السفير وباختصار يطلب صديقي « المساعدة » فهو يقول :

ـ إن زوجتي تقول مادام كلب الترونغ نادر الوجود لهذه الدرجة ، فلماذا إذاً وزعنا كلابنا ؟!! ولذلك فقد ملأت بناية السفارة بكلاب الترونغ ،ومعظم هذه الكلاب بدأت بالتكاثر •

يعلم الله كم كلباً أصبح عندنا الآن •• إنني لا أستطيع أن أحصي عددها •• بعد فترة لن يبق لنا مكان في البيت بسبب ازدحامه بكلاب الترونغ •

المساواة بين عيدان الكبريت

فهمنا ••• لا يوجد مساواة بين البشر ، ولا يوجد مساواة بين الحيوانات ، ولكن ما لم أستطع فهمه هو عدم وجود المساواة بين عيدان الكبريت • إذا انعدمت المساواة بين البشر فلتكن على الأقل موجودة بين عيدان الكبريت •

مساء البارحة عندما كنت ذاهباً إلى « الكاضي كوي » أردت تدخـين سيكارة على ظهر الباخرة • (شخطت) عـود كبريت (بص ص •••) جـربت الثـاني (بص بص بص ص ص ••) حاولت بعدة عيدان أخرى حتى نزل عدد عيدان كبريتة بعشرة قروش إلى النصف أي رميت بخمسة قروش من الثروة القومية دون فائدة •

قال أحد خفيفي الظل :

ــ قديماً كانت الفتيات ينظرن إلى فألهن باستخدام وريقات زهرة الأقحوان وهن يقلن « يحبني ، لا يحبني » أما الآن فإنهن ينظرن إلى فألهن بواسطة الكبريت ، فهن (يشخطن) عيدان علبة الكبريت كلها ، فإذا اشتعل عود واحد كان الحبيب يحبهن ، وإذا اشتعل إثنان كان يحبهن كثيراً •

ــ وماذا يحصل إذا اشتعل ثلاثة عيدان ؟!!

ـ لا تضحكني يا رجل ... وهل رأيت بحياتك ثلاثة عيدان قابلة للاشتعال في كبريتة واحدة ؟...

لم يكمل صاحبنا حديثه حتى تناولت عود كبريت وشخطته . انفجر مثل الألعاب النارية التي يستعملها الأطفال في أيام الأعياد وبعد ذلك وقعت النار بكفي .. صرخت يا إلهي ...

اندهشت من هذا الاشتعال وقذفت عود الكبريت المشتعل من يدي فوق سيدة كانت تجلس على يميني ولو لم تتصرف هذه السيدة بسرعة فائقة ، وتقذف عود الكبريت على قبعة الرجل الجالس أمامها .. لاشتعلت تماماً وذلك لأنها طلت نفسها من شعرها إلى وجهها إلى أظافرها بالكريم وحمرة الخدود والمواد الزيتية وطلاء الأظافر ، المهم أنها رمت عود الكبريت من يدها واجتازت مرحلة الخطر .

كان الرجل الذي سقط عود الثقاب فوق قبعته قد دخل في نقاش حاد مع الرجل الذي كان يجلس بجانبه ، ولذلك لم ينتبه إلى ذلك العود الذي اشتعل فوق رأسه كالمشعل الذي صب فوقه الكاز والذي نراه في المسيرات والاحتفالات ، ولذلك نبهه المشاهدون وصرخوا مذعورين :

ـ إنك تحترق ...

ولكن أنّى له أن يعرف أن النار تلعب فوق قمة قبعته ، بدأ بالبحث في سرواله حتى ركض إليه أحد محبي عمل الخير وقذف قبعته عن رأسه ، فطار عود الكبريت في الهواء كالصاروخ ...

وكمـا الصياح رسم طريقـاً لـه في الهواء ، فصاح المواطنون وتراكضوا وهم يقولون :

ــ إنه قادم إلينا •• إنه قادم إلينا •••

وتداخلوا ببعضهم ، وبدأ الضجيج والصراخ ، وفي هذه الأثناء أتى أحد المواطنين الشجعان ووضع رجله فوق عـود الكبريت المشتعل وطحن رأسه كما يطحن رأس أحد الأعداء ، وبعد أن أعاد الضرب برجله فوق عود الكبريت عدة مرات قال :

ــ أحضروا الماء •

وعندما قلنا له :

ــ لقد انطفأ أخيراً • ارفع رجلك عنه •

صرخ بنا قائلاً :

ــ إنني أعمل في الاطفاء منذ ستة عشر عاماً ، فهل ستعلمو ني القيام بعملي ؟

هذه العيدان إما أن لا تشتعل أبداً أو أن تشتعل ولكـن لا تنطفىء قبل أن تحول كل شيء إلى رماد •

وبدأنا بعد ذلك بسكب زجاجات المـاء التي اشتريناها من المطعم فوق عود الكبريت ، وبصعوبة انطفأ وهو يخرج أصواتاً كالصفير من أثر اضطرام النار فيه • بعد إطفاء عـود الكبريت شعر المسافرون بالأمان وارتاحوا ، وبدأت كل أحاديثنا تدور حول أعواد الكبريت حتى وصلنا إلى « الكاضي كوي » •• استطعت أن ألتقط من الأحاديث ما يلي :

في كل علبة كبريت عدد من العيدان • إن المعمل يضع كل معجون الكبريت المخصص للعلبة فوق عود واحد ويترك بقية العيدان فارغة •

سألت الرجل الذي أعطى هذه المعلومة :

ـ ولماذا يفعلون هذا ؟! أليس من الأفضل أن يضعوا على كل عود حاجته من المعجون وفي هذه الحالة ستشتعل كل العيدان ؟

ـ ولكن في هذه الحالة ستقل كمية علب الكبريت المصروفة، فإذا اشتعلت كل العيدان فإن باستطاعتك أن تشعل كل سيكارة بعود كبريت واحد ••

أما إذا احتاجت كل سيكارة إلى علبة كبريت كاملة فإن مبيعات الكبريت وأرباحه ستزداد •

وبعد أن أنهى الرجل كلامه أخرج من جيبه حوالي العشرين أو الثلاثين علبة كبريت •• وقال :

ـ كي أشرب علبة دخان في اليوم فإنني مضطر لاستعمال هذه العلب كلها •

فقال أحد الذين لا يدخنون :

ـ ولماذا لا تستعمل قدّاحة في هذه الحالة ؟••

فأجاب الرجل متسائلاً :

وكيف ستشعل القداحة بدون كبريت ؟!••

ولكن إلى الآن لم أفهم سبب وضع مادة الكبريت المخصصة لعلبة بأكملها على عود واحد وترك بقية العيدان بلا كبريت• وبما أن الأرباح تتم على هذا الشكل ، فلماذا لا يوزعون نفس الكمية

الموضوعة على عود واحد على بقية العيدان بالتساوي وبذلك تصبح كلها قابلة للاشتعال ؟!..

قال الرجل المهتم بموضوع الكبريت :

ـ لا يمكن ، ففي ذلك ظلم ، لأن شركات صناعة الكبريت تريد أن تظهر للناس أنها لا تحتكر مادة الكبريت ، ولذلك فهي تضع مخصصات العلبة على عود كبريت واحد ، وفي كل الأحوال سيقع اختيارنا على هذا العود ، وعندما نشعله يصبح كالأسهم النارية التي كانت تنطلق من السفن في الحروب البحرية القديمة ، أو مثل قطعة القماش المبتلة بالزيت لا تنطفىء إذا اشتعلت حتى تحول كل ما حولها إلى رماد .

إن مبيعات التبغ في تزايد مستمر ، وهل من الممكن أن لا تزداد والمواطنون اصطفوا وراء بعضهم كالسلسلة كل واحد يشعل سيكارته قبل أن تنتهي سيكارة الذي قبله وذلك كي يتخلصوا من مصيبة الكبريت .

الفئران تأكل بعضها

في زمن ما ••• في بلد ما ••

لا •• لا •• هذه الحكاية ليست من الأمثال الشعبية ولهذا أرى أن من الأفضل أن نذكر المكان ونحدد الزمان •

الزمان : بعد الميلاد •

المكان : مكان ما فوق سطح الأرض •

والآن بعد أن أصبح المكان واضحاً والزمان محدداً ، لنروِ الحادثة :

في الزمن المحدد والمكان المعلوم كان يوجد مخزن كبير جداً ، مليء بالمأكولات والمحروقات والمنظفات والملبوسات وقد رتبت هذه الأشياء في المخزن بشكل منظم ، كل صنف على حدة •• البقول اليابسة مثل الفاصولياء والحمص والرز في جهة ، والحبوب مثل القمح والشعير والبرغل والجلبانة في جهة ثانية • أما الصابون والدهون ففي جهة ثالثة • بينما الألبسة والأحذية في جهة رابعة ، و و ••• إلخ •

في الزمن المحدد والمكان المعلوم كان يدير هذا المخزن الكبير رجل يتقن عمله بشكل جيد • وفي يوم من الأيام واجهت هذا المدير الناجح جداً مشكلة لم يجد لها حلاً • والمشكلة باختصار

هي امتلاء المخزن بالفئران ، وبسبب ذلك بدأت المأكولات بالتناقص يوماً بعد يوم ، وتحولت الجبنة والبسكويت إلى فتات •

من الطبيعي أن لايقف المدير الناجح مكتوف اليدين في موقف كهذا ، فبدا متوتراً ، ولا يستطيع الجلوس أو النوم ، وبدأ يشن حربه على الفئران بكل الوسائل الممكنة ، ولكن كل هذه الوسائل لم تجدِ نفعاً • وبدأت فتات الجبنة والصابون أيضاً بالتناقص يوماً بعد يوم • وقطّعت الملبوسات إلى قطع صغيرة ، وعششت الفئران في أكياس الطحين وأيقن المدير الناجح بأنه لا أمان مع هذه الفئران ، وكلما كانت هذه الفئران تأكل من الحبوب كان وزنها يزداد أكثر ، وكلما كانت تسمن كانت تتمشى وتخرب ما تراه بطريقها في المخزن • ومع ذلك تكاثرت الفئران وازدادت حتى امتلأ المخزن بها ، واحتلت الفئران المخزن بشكل كامل وبدا الأمر كأنه مستعصٍ على الحل • حتى أن الخراب لم يقف عند تخريب المأكولات وأكلها وتفتيت الألبسة والجبنة والسمن بأسنان الفئران ، بل تعداه إلى تقطيع الأحذية والجلود والخشب بأسنانها وأظافرها • ومن كثرة ما أكلت الفئران بدأت تتضخم حتى أصبحت بحجوم القطط ، وتضخمت مع مرور الزمن حتى أصبحت بحجم الكلاب •

لم تكن الفئران تكف عن اللعب والركض داخل المخزن ، بل احتلت فوق ذلك أكثر الأمكنة التي تدخلها الشمس وأجملها وأرطبها •

استمر المدير الناجح بحربه الضروس ضد الفئران دون هوادة. في البداية وضع سم الفئران الذي يعتبر من أكثر السموم تأثيراً في كل مكان من المخزن ، ووضع السم في الجحور ولكنه لم يجنِ أية فائدة تذكر . وفوق ذلك فقد أصبحت هذه السموم بالنسبة للفئران من المكيفات إلى حد الإدمان والتي يشبهها إلى حد بعيد تلك السموم التي يتناولها بعض المدمنين من البشر . لقد أدمنت الفئران على هذه السموم التي يضعها المدير في كل مكان كي تقتل الفئران لدرجة أنهم بدأوا يلحون بطلبها يوماً بعد يوم . وعندما كانت تنقصهم الكمية كانوا يضجون وينتفضون حتى ليخيل للمرء أن المخزن أوشك على السقوط فوق رؤوسهم . وفي يــوم من الأيام انتظر المدير الناجح حتى المساء ووضع في المخزن أقوى القطط الصيادة ، ولكن لم يجد في صباح اليوم التالي من القطط المسكينة سوى (الوبر) وعظمين أو ثلاثة عظام ، وبذلك أدرك أنه لا القطط ولا سم الفئران قادرين على التأثير بأدنى درجة على هذه الفئران ، وكانت نتيجة هذا التفكير العميق أنه بدأ ينصب الشراك ، وفعلاً كانت هذه الشراك تلتقط الفئران في كل يوم ، ولكن ما الفائدة إن كان يولد في اليوم عشرون أو ثلاثون فأراً بدل الفئران القليلة التي كانت تلتقطها الشراك .

وفي النهاية وبعد تفكير طويل وجد المدير الناجح طريقة تمكنه من القضاء على الفئران . لقد صنع ثلاثة أقفاص كبيرة جداً من الحديد وبدأ يرمي الفئران التي تلتقطها الشراك في هذه الأقفاص الكبيرة حتى امتلأت بالفئران . ولم يقدم المدير الناجح للفئران

أي شيء يؤكل • مرّ على ذلك يوم ، يومان ، ثلاثة أو خمسة أيام، فلم تعد الفئران قادرة على تحمل الجوع أكثر ، فبدأت الكبيرة منها بانتقاء الصغيرة والضعيفة وخنقها وتقطيعها وأكلها • وبذلك أمنت غذاءها وشبعت • وبعد مدّة جاعت الفئران فبدأت بعضّ بعضها البعض وبنهاية هذا العض الدموي كانت الفئران القوية تخنق الفئران الضعيفة وتقطعها وتأكلها •• وهكذا بدأت الفئران الحبيسة بالتناقص يوماً بعد يوم •

الأقوى هو فقط من يبقى على قيد الحياة ، بينما كان الأضعف يؤكل ••• لقد تحولت الأقفاص الثلاثة إلى ساحة حرب دموية ، وفي النهاية لم يبق في كل قفص من الأقفاص سوى ثلاثة أو خمسة فئران ، وفي هذه المرة لم تكن الفئران تنتظر حتى يفرغ بطنها بل كانت تنتقي واحدة من بينها تثب عليها وتقطعها وتأكلها ، وذلك لأن الفئران أدركت بغريزتها أن أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم ، لأن كل فأر أدرك بأنه إن لم يأكل جاره فإن هذا الثاني سيثب عليه ويقطعه ويأكله •

وهكذا فقد أصبحت الوسيلة الوحيدة للدفاع عن النفس هي أن تستفيد بعض الفئران من نوم البعض الآخر أو من شروده فتثب عليه وتقطعه وتأكله • وعلاوة على ذلك كثيراً ما كانت تأتلف عدة فئران ، إثنتان أو ثلاث وتختار فأراً ما وتثب عليه وتقطعه • وفي نهاية هذا الائتلاف كثيراً ما كان يأتي الدور على واحدة من جماعة الحلف فتؤكل مثل غيرها، وفي نهاية الصراع يبقى فأر واحد في كل قفص وهو الأسمن ، والأكبر ، والأقوى ، والأمكر •••

وعندما لم يبق في كل قفص سوى فأرٍ واحـدٍ فقد فتح المدير الناجح أبواب الأقفاص الثلاثة واستخدم هذه الفئران للهجوم عـلى فئران المخزن • ولأن هـذه الفئران الضخمة قد تمردت واعتادت عـلى أكل أفـراد جنسها لذلك هجمت عـلى الفئران الموجـودة في المخزن عندما فُتحت الأقفاص ، وبـدأت بخنقها وتقطيعها وأكلها • لم يكن هدفها من مثل هذه الفئران هو أكلها فقط بل كان الهدف بالإضافة إلى أكلهـا هو نوع من الاحتياط الأمني لنفسها ، لأنها أكدت أنها إذا لم تقتل هذه الفئران فإنها قد تتعرض لهجومها •

وهكذا ••• في الزمن المحـدد والمكان المعلوم وفي المخزن المذكور تنتهي هذه القصة بعد أن نكون قد علمنـا بأن المدير استطاع أن يتخلص من كل الفئران •••

والآن سأسألكم سؤالاً : هذه الفكرة الماكرة التي لا تخطر على عقل إبليس ، كيف خطرت على عقل هذا المدير الناجح حتى استطاع أن يجعل الفئران تأكل بعضها ؟!••

الجواب : لأن هذا المدير الناجح طبّق أسلوبه في الحياة على فئران المخزن •• فهو يشبه إلى حـد بعيد تلك الفئران القوية المتمردة التي أكلت أفراد جنسها كي تبقى على قيد الحياة • لقد أكل وأكل وأكل من أصدقائه الكثـير حتى أصبح مديراً لهذا المخزن الكبير جداً •

النهاية : الفئران تأكل بعضها •

آه .. نحن معشر الحمير

كتبت هذه القصة في الأيام التي أصبحت فيها حرية الرأي والكلمة والصحافة حبراً على ورق . وفي الوقت الذي كُمّت فيه أفواه المثقفين . وكان الهدف من كتابتها هي ذم المثقفين السيئين الذين أوصلوا الشعب إلى ما وصل إليه ، لأنهم لم يكونوا ينتفضون أو يصرخون إذا كانت الكارثة لا تمس مصالحهم الشخصية الضيقة . ونشرت هذه القصة في ذاك الوقت .

آه منّا ! آه نحن معشر الحمير ، كنا نحن معشر الحمير في الأزمان الغابرة نتكلم مثلما يتكلم الآن معشر البشر .. كان لنا لغة خاصة بنا .. كانت هذه اللغة جميلة كالموسيقى تقع في الأذن فتطربها . كم كانت لغتنا جميلة . وكم كانت أغانينا رائعة . منذ أول يوم أصبحنا فيه حمير ونحن نتكلم باللغة الحمارية . ولم نكن نتكلم مثلكم باللغة الإنسانية ، لأن اللغة الحمارية كانت لغة حلوة .. غنية .. رقيقة ومتناسقة .

نحن معشر الحمير لم نكن ننهق مثلما ننهق الآن إذ أننا تعلمنا النهيق فيما بعد .

وكما تعلمون فنحن نحاول التعبير عن عواطفنا وأحاسيسنا

واحتياجاتنا وآلامنا وأفراحنا بالنهيق وذلك إن كان الحديث بيننا نحن معشر الحمير أو بيننا وبين أسيادنا البشر •

ما هو النهيق ؟! إنه ذلك الصوت الذي يخرج بأحرف ممدودة وخشنة ثم تنتهي بأحرف متقطعة قصـيرة كما يلي « عـا ااا ء ، عا ااا ء ، عا ااا ء ، اع •• ، اع •• ، اع » كما ترون لقد حذفنا وحذفنا من لغتنا حتى أصبحت عبارة عن كلمة مؤلفة من حرفين أو ثلاثة أحرف • كيف يمكن لمخلوق أن يعبر عن كل أحاسيسه بكلمة واحـدة ؟!••

ما الذي حصل حتى ماتت اللغة الحمارية الغنية وبدأنا بعدها نحن معشر الحمير بالنهيق ؟!•• ألا تتشوقون لمعرفة سبب ذلك ؟! إن كنتم متشوقين للمعرفة سأشرح لكم : لقد شُلّت لغتنا بعد حادثة مخيفة أودت بعقولنا •• ونسينا اللغـة الحمارية إثر هذا الشلل •• ومنذ ذاك اليوم ونحن نعبر بكلمة واحـدة عن كل أحاسيسنا •

إن حادثة شلل لغتنا قديمة قدم التاريخ •

كان يعيش في إحدى الغابات حمار من الجيل القديم ، وفي إحدى المرات كان يأكل العشب وحيداً ويغني وفي هذه الأثنـاء شمّ رائحة ما • لم تكن هذه الرائحة محببة له ، إذ أنها كانت رائحة ذئب •• قال الحمار العجوز وهو يهدىء من روعه :

ـ كلا يا روحي •• ليس ذئباً ، وعاد يأكل العشب ولكن

رائحة الذئب بدأت تزداد شيئاً فشيئاً •• من الواضح أن الذئب يقترب واقتراب الذئب يعني الموت المحقق •

وبدأ الحمار العجوز يهدىء من روعه مرة أخرى :

ــ كلا إنه ليس ذئباً •• ليس ذئباً • ولكن الرائحة ازدادت أكثر •• بدأ خوف الحمار العجوز يزداد ومن جهة أخرى تصرف كأنه غير موجود :

ــ إنشاء الله ، لا يكون ذئباً ، من أين سيأتي الذئب إلى هنا ، ومن أين له أن يراني ؟!•

وهكذا وفي الوقت الذي كان يخادع فيه نفسه سمع أصواتاً معينة ، ولكنها ليست أصواتاً جميلة إذ أنها كانت أصوات ذئب • أصغى الحمار العجوز بدقة : نعم •• إنه صوت ذئب • ولأن قلبه غير راضٍ عن مجيء الذئب إلى هنا ، قال :

ــ كلا يا روحي •• إن هذا الصوت ليس صوت ذئب • إنني أتوهم ولهذا أحسبه صوت ذئب وعاد إلى أكل العشب • ولكن الصوت بدأ يزداد شيئاً فشيئاً •••

خادع الحمار العجوز نفسه :

ــ لا ليس صوت ذئب •• لا يمكن أن يكون صوت ذئب •

أصبح قريباً جداً هذا الصوت والحمار العجوز يحدث نفسه قائلاً :

ــ لا •• لا •• أرجو أن لا يكون ذئباً •• ثم أليس للذئب عمل يقوم به حتى يأتي إلى هنا ، ومن جهة أخرى كانت عيناه تفحصان المحيط من حوله من جراء الخوف الذي امتلك حواسه

وفجأة نظر إلى الأمام فرأى الذئب قادماً بسرعة من على قمة الجبل المقابل ضمن عمود من الغبار الذي يتطاير في السماء وكان صوته يملأ الأفق فقال :

ــ (أ ــ هاء) إن الذي أراه شيئاً آخر وليس ذئباً •

وضع رأسه بين العشب وتابع قائلاً :

ــ هكذا خيل إليّ على ما يبدو ، إن ما رأيته خيال • نعم ، نعم لا شك بأنه خيال وبعد قليل ازداد خوفه أكثر عندما رأى الذئب وهو قادم إليه من بين الأشجار ، ولأنه يتمنى أن يكون ما يراه ليس ذئباً عاد لخداع نفسه من جديد :

ــ أراهن على أنه ليس ذئباً ، لا يمكن أن يكون ذئباً ذلك المخلوق الذي يحرق ذيلي بلهيبــه • وعندما لامس أنف الذئب الرطب مؤخرة الحمار ،كان هذا الأخير قد نفدت كل طاقته ، أدار رأسه إلى الوراء فرأى الذئب وهو يوشك أن يثب عليه ولم يبق للحمار أية طاقة للركض خاصة وأنه أصبح قريباً جداً من الذئب • أغمض الحمار العجوز عينيه كي لا يرى نظرات الذئب القاسية وقال :

لا •• لا •• ليس ذئباً ، إنشاء الله لا يكون كذلك ، ولِمَ يكون ذئباً ؟!••

وفي الوقت الذي غرس فيه الذئب مخالب ذراعه اليمنى في مؤخرة الحمار ، قال الحمار :

ــ أعلم •• أعلم أنك لست ذئباً •• لا تلعب فوق ظهري ، إنك تدغدغني كما إنني لا أحب لعب الأيدي ••

عض الذئب الجائع ظهر الحمار بأسنانه فقطع قطعـة كبيرة من اللحـم وبدافع غريزة حب البقاء وقـع الحمار على الأرض وشُلّ لسانه ونسي اللغة الحمارية التي كان يعرفها . وبعد أن هاجم الذئب عنق الحمار بدأ الدم ينفر من كل أطراف جسمه ، وهنا أيقن الحمار بالخطر المحدق فصار يصرخ :

ـ عاء .. عاء .. إنه ذئب .. عاء .. عا ااا ء .. إنه هو . الذئب يقطعه بأسنانه وهو يئن ويصرخ :

عا عا... إنه هو .. عا عا.. أو أو إي إي.. أ أ أ ي ي ي .

وفي هذه الأثناء وصل صراخ الحمار الذي تفتته أسنان الذئب إلى آذان كل الحمـير المجاورة : عا عا عا .. إي ي ي .. عا ااا عا ااا عا ااا .. إي ي ي .

وبعد هذه الحادثة ، ومنذ ذلك اليوم نسينا ، نحـن معشر الحمير الكلام وصرنا نشرح كل احتياجاتنا وعواطفنا بالنهيق . هذا الحمار العجوز الذي ينتمي إلى الأجيال القديمة لو أنه صرخ أو هرب عندمـا أحس بوجـود الذئب أو باقترابـه دون أن يخادع نفسه ، أه ولو أنه وجد وسيلة للهرب دون أن ينتظر حتى يكون قاب قوسين ، أو أدنى من الموت .

لكنّا ، نحن معشر الحمير.. حافظنا على لغتنا الجميلة ولكنّا نتكلم الآن بها .

آه نحن معشر الحمير ، آه نحن قوم الحمير ... آه آه .. عا ااا ء عا ااا ء عا ااا ء آه آه آه .

لا تتكلم كثيراً

ولد عام ١٩١٥ لم يكن باستطاعته البكاء في البيت لأن أمه كانت توبخه على الفور قائلة :

ـ أسكت •

لا يستطيع الضحك ولا الصراخ ، لأن أباه كان يؤنبه قائلاً :

ـ أسكت •

عندما يأتي الضيوف يقولون له :

ـ عيب عليك •• أسكت •

وعندما لا يكون في البيت غرباء كانوا يقولون له :

ـ نريد أن نرتاح قليلاً •

استمرت هذه الحالة حتى أصبح في السابعة من عمره ••



دخل إلى المدرسة الابتدائية ، عندما كان يريد أن يسأل أي سؤال في الدرس كان معلمه يصيح به :

ـ أسكت •

وعندما كان ينهض ليجيب على سؤال ما كان معلمه يقول له :

ـ لا تتكلم كثيراً ، أجب على ما سئلت عنه فقط •
استمرت هذه الحالة حتى أصبح في الثانية عشرة من عمره ••



ذهب إلى المدرسة الاعدادية ، وعندما كان يريد أن يفتح فمه كان الكبار يقولون له :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك •

وكان المدير ينصحه بحكمته المفضلة :

ـ إذا كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب •

ومدرس الأدب التركي كان يقول له :

ـ اسمع مرتين وتكلم مرة واحدة ، ألا ترى أن الله خلق لنا فماً واحداً •• وأذنين اثنتين •

ـ أسكت •

ـ إخرس •

ـ لا تتكلم كثيراً •

استمرت هذه الحالة حتى أصبح في الخامسة عشرة من عمره •



عندما ذهب إلى الثانوية خير ما تعلمه هناك حكمة مفادهـا : « السكوت خير من الذهب » •

ـ لا تتكلم كثيراً •

ـ أسكت •

ـ إخرس ٠
استمرت هذه الحالة حتى أصبح في التاسعة عشرة من عمره ٠



دخل إلى الجامعة ، خـير مقولة تعلمها : « لا تتكلم أمـام الكبار » ٠

وتقول أمـه :

ـ الماء للصغار والكلام للكبار ٠

وقال البروفسور ذات يوم :

ـ أمسك لسانك ٠

واستمرت هذه الحالة حتى أصبح في الثالثة والعشرين من عمره ٠٠



دخل إلى الجيش ، كان الرقيب يصرخ به قائلاً :

ـ أسكت ولَك ٠

والمساعد يؤنبه قائلاً :

ـ لا تزعجنـا ٠

والمقدم يقول :

ـ هس ٠٠ هس ٠٠

استدعوه إلى المخفر فقال الشرطي :

ـ لا تتكلم كثيراً ٠

وقال المفتش :

ـ أسكت وْلَك .

انخرط في ميدان العمل ، كان أصدقاؤه يضعون سباباتهم على شفاههم ويقولون :

ـ هس .. هس ..

يا إلهي اسكت ... ولك هس .. هس .. يا إلهي ستسبب لنفسك المشاكل .. انتبه لنفسك .

وكان الكبار يقولون :

ـ أنت تحشر نفسَك في كلّ شيء .

ـ أنت لا تفهم .

ـ هل وقفتْ عليك .

ـ أسكت .



تزوج صاحبنا .. كانت زوجته تقول :

ـ يا إلهي أسكت .. لماذا تتدخل في أمور لا تعنيك .

وبعد ذلك أصبح لديه أطفال وكبر أطفاله ... وبدأوا يقولون له :

ـ أسكت يا أبي أنت لا تفهم بهذه الأمور .



أحياناً أكون أنا وأحياناً تكونون أنتم مكان هذا الرجل وأحياناً يكون هذا الرجل ممثلاً لنا جميعاً ، وحالتنا قد تكون كحالته تماماً ...

قديماً كانت النسوة يأكلن ويطعمن أزواجهن لسان الحمار وذلك كي يتخلصوا من عادة الثرثرة ، واستناداً إلى هذا الاعتقاد فإن الذين يأكلون لسان الحمار لا يخرج صوتهم أبداً •• ونحن أيضاً نعيش وكأننا أكلنا لسان الحمار •• ابحثوا أيها السادة في أفواهكم لنرَ •• هل يوجـد لسان ؟•• لقد بلعنـا ألسنتنا ووضعناها في أجوافنا ، لدينا فم ولكن لا يوجد لدينا لسان •

والآن ••• إن هـذا الرجل يشبهني أحياناً ويشبهكم أحياناً ويطالب بحرية الرأي ولكنهم يقولون له :

ــ أسكت •

★ ● ★

وأنا أحب أن أصرخ بكل قواي الصوتية •••

ــ تكلم •• تكلم •• تكلم يا أخي •

ولكن ماذا سنتكلم وكيف سنتكلم ؟!••

أين لساننا ؟!••

بين الراكب والماشي

أحدهم يمشي يسير •• والآخر في السيارة

ركبت وأحد الأصدقاء سيارة أجرة من الكاضي كوي ، أشار السائق الذي يتصبب عرقاً إلى أحد المشاة الذين يمرون أمام السيارة وقال :

ـ انظر إلى هؤلاء الناس •• يا أخي إلى الآن لم يتعلموا السير في الطريق •

أيدته قائلاً :

ـ السير الصحيح في الطريق •• يا سيدي الكريم هو جوهر المدنية ، والمعنى الحقيقي لها ••• بعد قليل نزل أحد الأشخاص من أحد الباصات من دون وعي فأوشك أن يقع تحت السيارة مما أدى إلى ضغط السائق على الفرامل •• نهضنا جميعاً واندفعنا إلى الأمام كمن يستقبل أحد الناس المهمين فقال صديقي مخاطباً الرجل الذي كاد أن يقع تحت عجلات السيارة :

ـ انظر أمامك •

وقال السائق :

ــ هش •

أخذت سيارتنا طريقها ••

ــ ماذا باستطاعتك أن تفعله لهؤلاء الناس الذين لم يتعلموا إلى الآن السير في الطريق ؟!

وأكملت الحديث :

ــ لا خير يرجى لهذا البلد من هؤلاء الناس •

وقفت امـــرأة تمسك طفــلاً على الطريق وقفـــة رومانسية مستعرضة جسدها كمن يريد أن يلتقط صورة تذكارية ، هـــذه الوقفة أدت بالمرأة إلى (نطح) السيارة برأسها •

تابع السائق قيادته قائلاً لصديقي :

ــ لا خير يرجى لا من الرجال ولامن النساء ، يا أخي لقد خصصوا طريقــاً وأســموه طريق المشــاة ، وخصصوا آخر للسيارات ، فما معنى وقفـــة هذه المرأة أمام السيارات •• لِمَ لا تذهب في طريق المشاة ؟!!•

أردت أن أقول فكرتي :

قبل كل شيء •• يجب أن نتعلم السير في الطريق ، أين نحن من الديمقراطية ، مازالت بعيدة عن بلدنا كثيراً •

قال أحد الركاب :

ــ يسلم فمك يا سيدي •• أين نحن من الديمقراطية ، ولم نتعلم السير في الطريق ؟!••

وقبل أن يكمل الرجل كلامه ، اصطدمنا ببعضنا البعض من جراء ضغط السائق على الفرامل فجأة ، وذلك كي لا يدهس أحد العابرين للشارع • كان رجلاً أعرج يمسك فخذيه بيديه •• مددنا رؤوسنا من النوافذ وبدأنا بالصراخ « يا حيوان » ••• (انظر أمامك يا حمار) • كدنا ننفجر من الصراخ على هذا الأحمق الذي لم يتعلم عبور الشارع إلى الآن •

قال صديقي :

ـ هناك حل واحد لمشكلة السير •• ألا وهو أن لا يعاقب السائق الذي يدهس الناس •• وبعد أن يدهس خمسة أو عشرة أشخاص دون أن يعاقب ، ستجد كيف سيتعلم الناس السير في الطريق •

وقال راكب آخر :

يا سلا ا ا م•• فكرة رائعة ، خاصة وأن المدينة تغص بالناس • عندما يدهس قسم منهم ستصبح هادئة وأقل ازدحاماً •

دخلت إلى الموضوع :

يا سيدي ••• كيف ستعطي الحرية لرجل إلى الآن لم يتعلم أصول السير في الطريق •• من يتكلم صح ، ومن يتكلم خطأ ؟!•

إذا كنت تركب سيارة سيكون كلامك صحيحاً ، ويكون عندئذٍ كلام الذين يسيرون على الأقدام هو الخطأ •• أما إذا كنت تسير على الأقدام فأنت على حق والذين يركبون السيارة على خطأ • إن الذين يركبون السيارة يمثلون السلطة ، والأحزاب

المعارضة تسير على الأقدام وكلاهما على حق .. هم على حق لدرجة أنهم يغضبون من الذين يركبون السيارة عندما يكونون في المعارضة ، والذين في السلطة يغضبون من الذين يسيرون على الأقدام .

وهذا هو السبب الكامن وراء الصراخ القائم بين الرجل القادم من السلطة مع المعارضة . وعندما يصبح من المعارضة يبدأ صراعه مع السلطة .

يقول الشعب في سياق حديثه عن رجال السلطة :

ـ لم يفوا بوعودهم .

ـ ولكن كيف لهم أن يفوا بوعودهم وقد ركبوا السيارة .

ـ ويقول الشعب لرجال الأحزاب المعارضة :

ـ إنهم يتكلمون عكس ما كانوا بالأمس .

كيف لا وقد أصبحوا ممن يسيرون على الأقدام .

الحــرية

الفتيان يحبون الزواج من الفتيات اللاتي يحبونهن ، ولكن الآبــاء والأمهات لا يتركونهم يتزوجون ممن يختارون ، لأنهم يريدون أن يختاروا أصهارهم وكناتهم بأنفسهم •• وفي النهايــة لا يستطيع الإنسان أن يتزوج بمن يختــاره ، بل بمن يختــاره الأهل له •

لو طلبتم ماءً من النادل وأنتم تركبون الباخرة متوجهين إلى الكاضي كوي أو إلى الجزر أو إلى البوغاز • سيقول لكم النادل:

ــ لا يوجد ماء •• يوجد كازوز •

اشربوا الكازوز بدل الماء •• فتشربون ما يختاره لكم النادل وليس ما تختارونه أنتم •

إذا اشتهيتم أكل (شاورما) فإنكم ستذهبون إلى المطعم ، فيقول لكم صاحب المطعم :

ــ لا يوجد شاورما •• يوجد كباب •

لن تأكلوا ما تشتهونه بل ما يشتهيه صاحب المطعم لكم •

هل ركبتم السرفيس وذهبتم إلى المكان الذي تختارونه ؟•• تقولون للسائق :

ـ إلى البيازيد •

فيقول السائق :

ـ كلا إلى الأمينيو •

يقول سائق التكسي لا أذهب إلى مكان كذا بل أذهب إلى مكان كذا ، وتذهبون أنتم إلى حيث يريد أفضل من عدم الذهاب إلى أي مكان •

لن تذهبـوا إلى المكان الذي تريدونه بل إلى المكان الذي يريده السائق •

إذا أردتم شراء قطعة قماش يقول لكم التاجر :

ـ لا تأخذوا القطعة الفلانية بل خذوا القطعة العلانية لأنها الأفضل •

ويقول الخياط :

ـ لا يناسبكم الموديل كذا بل الموديل كذا فهو أفضل بكثير•

لن يحصل ما تختارونه، بل ما يختاره التاجر والخياط هو الذي سيحصل ••• لنفكر معاً ، ما هي الأعمال والأفعال التي قمنا بها بمحض إرادتنـا ؟•• من نحن ؟•• والإنسان هو ذلك المخلوق الذي يولد حراً ويموت حراً •••

إن كانت الحكمة صحيحة فنحن نريد الحرية :

يقولون لك :

ـ تفضل هذه هي الحرية ••• لن تتزوجوا باختياركم بل بما يختارونه لكم • لن تشربوا ما تريدون بل ما يريده النادل • لن

تأكلوا ما تشتهونه لأنفسكم بل ما يشتهيه لكم صاحب المطعم .
لن تذهبوا إلى المكان الذي تختارونه بل إلى المكان الذي يختاره السائق .

الحريــة ...؟!!

تفضل هذه الحرية .

انظروا بشكل عقلاني إلى هذه الحرية التي تعطى لنـــا ...
هل هذه التي ترونها هي الحرية التي طالما طالبتم بها ؟!!..

القهــوة والديمقراطية

القهوة والديمقراطية ، هما الشيئان اللذان لا ينبتان في بلدنا . وكلاهما يأتيان إلينا من الخارج . تربة بلدنا على ما يبدو لا تناسب زراعة القهوة بأي حال من الأحوال . كما أن هواء بلدنا وماءه وتربته غير مناسبة لزراعة القهوة .

أما إذا جاء دور الحديث عن الديمقراطية . فنحن في هذا البلد لم نوفر أي جهد من أجل إنبات الديمقراطية ورعايتها ولو نظرتم نظرة سريعة إلى تاريخ هذا البــلد لوجدتم أننــا زرعنــا بذار الديمقراطية منذ حوالي مئة عام . ومنذ سنين ولسان حالنا يقول :

ـــ يا سلام .. لقد برعمت ديمقراطيتنا .

ـــ ديمقراطيتنا الشابة .

ـــ الحمد لله ، لقد أصبحت ديمقراطيتنا غرسة رائعة .

كل تعب تلك السنين الطويلة لم نستطع أن نجعــل طــول ديمقراطيتنا يمد أكثر من طول غرسة صغيرة ، مع العلم أننا لو صرفنا كل الجهد الذي صرفناه على زراعــة الديمقراطية ، على زراعة القهوة .. لأصبحت بلدنا غابة كثيفة لاتستطيع أن تدخلها رجل إنسان .

في زمن ما ، لم ندرك أهمية القهوة •• ولذلك وضعنا بذار الديمقراطية بـدلاً من بذار القهوة والحمد لله النتائج واضحة أمامنا •

نحن لسنا مضطرين للديمقراطية إلى هذه الدرجة خاصة ونحن نعلم المعاناة التي نقاسيها دون قهوة •• هل نعاني من فقـدان الديمقراطية ؟!••

عندما نفقد القهوة يصيبنا دوار ، ولكن لا يصيبنا دوار من فقدان الديمقراطية •• ومن ناحية أخرى فإن الديمقراطية لا تتمتع بتلك الرائحة المنعشة التي تتمتع بها القهوة • ضع قهوتك بالفنجان واشرب • ولكن الديمقراطية لا تؤكل ولا تشرب •• قولوا لنا •• ما هي إذاً فائدة الديمقراطية ؟؟••

الديمقراطية تأتي إلى بلدنا بكميات هائلة ، ولكن القهـوة لا تأتي ••• القهوة تبـاع •• والديمقراطية بالمجان •• القهوة تحتاج للعملة الصعبة كي نحصل عليها ، والديمقراطية لا تحتاج لأي شيء من أجل الحصول عليها •

انظروا إلى احتياجنا للقهوة قليلاً •• وفوق ذلك ألم ندمن على القهوة ؟!••

أصبحنا نعرفها جيداً من منظرها ••• ونعرف القهوة الطازجة من غير الطازجة •••

ونعرف تركيبها وبنيتها ، وكل شيء عنها •

الحمـــد لله •• لقد أصبح بعض المواطنين يغشون القهوة ويبيعونها ••• في البداية ظهرت قهوة الشعير ولكننا لم تتذوقها ، وبعد ذلك ظهرت قهوة الحمّص ولم تعجبنا ••• والآن ظهرت قهوة الفاصولياء ••• ولم نستطع ابتلاعها ••

إن القهوة إدمان جماهيري في بلدنا •• إننا نبتلع غش أي شيء ولكننا لا نستطيع أن نبتلع القهوة المغشوشة •

يا إلهي العظيم •• ماذا يحصل لو أننا فهمنا الديمقراطية كما فهمنا القهوة ولو بمقدار ضئيل ؟•••

المـــرأة أم الشرفة

كنت أكنّ كل محبــة وتقــدير لصديق لي يعمل في سلك المحاماة . كان يقيم سابقاً في الطابق الخامس من بنــاية أكثر ما يميزها هذا الموقع الرائع . فقد كان باستطاعتنا أن نرى من شرفة البيت بحر مرمره ، والجزر ، والبوغاز .. ولم نكن نرتوي من رؤية ذلك المنظر الرائع لأضواء السفن المنعكسة على مياه البحر ، تلك السفن التي كانت راسية بالقرب من الشاطىء .. كنا نرى من الشرفة أيضاً ضوء القمر الذي يرتجف على مياه البحر .. ومن جهة أخرى كنا نرى قصر « سراي برنو » وميناء استانبول . كل هذه الأشياء كانت تشكل شيئاً يذكرني بالقصص الخرافيــة المثيرة للدهشة .

نصف ساعة فقط من الراحة التي تقضيها على هذه الشرفة تجعلك تعرف قيمة الحياة وتنسيك تعب يوم بأكمله .

كنت أسأله في كل أمسية :

ـ لماذا لا تتزوج ؟..

ولكنه لا يقول شيئاً .

في إحدى الأمسيات .. كنا جالسين على الشرفة ونستمع لضجيج الميناء وصدى أصوات الصيادين فسألته من جديد :

ـ لم أفهم إلى الآن .. سبب صدودك عن الزواج ؟!.

قال صديقي الذي ملّ من سماع هذا السؤال :

سأتزوج .. ولكن بعد أن أجد جواباً لسؤال مازال يحيرني ، وسؤالي هو :

المرأة التي سأتزوجها هل ستقبل بي زوجاً من أجل شخصي أم من أجل هذه الشرفة ...

لا أشك مطلقاً بأن صديقي كان على حق في خوفه وتساؤله .

مرّ على هذا الكلام سنون وسنون ، وحصلت لكلينا تغيرات كثيرة في هذه الحياة ، ولما يزل صديقي يقيم بنفس البناية ، ولكنه اضطر لأن ينتقل إلى الطابق الأرضي ...

ماذا تتوقعون لو كان صديقي قد تزوج منذ تلك الأيام .. هل كانت زوجته ستترك الشرفة وتنزل إلى الطابق الأرضي ؟!..

ذكرتني هذه القصة بحادثة جرت الشهر الماضي في إزمير .. امرأة في إزمير طلبت الطلاق من زوجها وقدمته للمحكمة .. قالت للقاضي :

ـ زوجي لا يكسب نقوداً ، ولا يهتم بي ، ولهذا أرى أن أفضل حلّ هو أن يطلقني .

قال زوجها الشاب متوسلاً إلى القاضي :

ـ أحب زوجتي كثيراً .. لا أريد أن أطلقها .. سأجد عملاً وأكسب النقود .

في هذه الأثناء كان أحد الأمريكيين بين الحضور . عندما

سمع هذه القصة عطف على الشاب ووجد له عملاً براتب شهري قيمته خمسمئة ليرة ، بعد ذلك على الفور تراجعت المرأة عن طلب الطلاق •• وتقول الصحيفة التي نشرت الخبر إن الزوجين خرجا من المحكمة يداً بيد ، وكانا سعيدين بذلك •

في الحقيقة إنه لمن الصعوبة بمكان أن تفهم هذه الزوجة •• هل تزوجت الرجل أم الخمسمئة ليرة ؟•• لأننا نسمع أن كثيرين من اللاتي حولنا يتزوجن رجلاً من أجل خمسمئة ليرة وبعضهن من أجل خمسة آلاف ، وبعضهن من أجل خمسمئة ألف ، وبعضهن على أمل ميراث ما ، وبعضهن من أجل كرسي المسؤولية ، وبعضهن من أجل سيارة ••• وهكذا •••

والآن •• ألم يكن صديقي على حق عندما تساءل « المرأة التي ستتزوجني ، هل ستتزوجني أنا أم تتزوج الشرفة ؟! »••

لا تظنوا أن النساء فقط على هذا الشكل •• إن الرجال أيضاً كذلك •• فكم من الرجال تزوج زوجته من أجل شرفتها ، أو من أجل سفنها الراسية ، أو من أجل أملاكها •

وعندما يتساءل زوجان ، يدردشان مع بعضهما :

ما هي نسبة صحة وصدق الجواب على: لأجل ماذا تزوجتني ؟

ماذا تقولون ؟!••

هل تريد أن تصبح سعيداً

ـ هل تريد أن تصبح سعيداً ؟..

ـ لا تضحكني يا رجل ..

ـ أقسم بالله أسألك بكل جدية ، هل تريد أن تصبح سعيداً ؟

ـ ومن لا يريد أن يصبح سعيداً ، ولكن كيف ؟!..

ـ أنا كنت أفكر مثلك ، ولكن تعلمت كيف يمكن أن أصبح سعيداً ..

ـ قالوا قديماً : لو كنت تملك المرهم الشافي لمسحت رأسك به !..

وأنت لو عرفت كيف يمكن أن تصبح سعيداً لأسعدت نفسك.

ـ جيد ، ألا ترى أني سعيد منذ مساء البارحة ؟.. والآن أريدك أن تصبح سعيداً ..

ـ منذ آلاف السنين والعلماء والفلاسفة يبحثون عن أسباب السعادة لكنهم لم يصلوا إلى نتيجة .. هل توقف عليك إيجاد سر السعادة ؟!..

ـ وماذا تظن ؟ الحمد لله ... اكتشفت سر السعادة قبل أن أموت ...

ـ جيد ، وما هو ؟..

ـ هكذا .. اسألني لأجيب . نعم كما قلت ، منذ آلاف السنين والفلاسفة يبحثون عـن أسباب السعادة ، لقـد حاولت الاستفادة من كل كلمة كتبوها حول هذا الموضوع .

ـ وهل أصبحت سعيداً ؟..

ـ اسألني كيف أصبحتُ سعيداً ؟..

انظر لقد بدأتَ تتشوق للمعرفة .. حتماً سأقول لك ، لأنني أريد لابن آدم أن يكون سعيداً ... وفوق هذا وذاك إن كل إنسان يريد أن يصبح سعيداً ولكن لا يكتب له النجاح .

ـ وما هو سر السعادة الذي اكتشفته ؟..

ـ لقد أفنيت سنوات طوال من عمري في البحث ، وكما ترى الآن تكلل عملي بالنجاح ولا أريد الآن أن أدفن هذا السر معي في التراب ..

ـ فهمنا يا أخي .. قل لنتعلم ونصبح سعداء مثلك .

ـ إذا كان هذا ما تريد .. افتح أذنيك إذاً واستمع جيداً ..

السعادة ملك يديك . إني واثق من ذلك تماماً لأنني أجريت التطبيق الأول على نفسي ، إفعل ما أقوله لك .. قطعاً ستصبح سعيداً ... النتيجة حتمية .

ـ جيد وما هي ؟

ـ سهلة جداً .. ستطبق ما طبقته على نفسي لتصبح سعيداً وإذا لم تصبح سعيداً راجعني ويكفي أن تفعل ما أقوله لك .

أنا لست حاسداً لأحـد ، ولست أنانيـاً ، ومادمت قد

أصبحت سعيداً واكتشفت سر السعادة •• فلماذا إذاً لا أقوله للجميع ليصبح الجميع سعداء •• أليس كذلك ؟!••

ــ طبعاً •• ولكن اشرح •

ــ سأشرح •• خذ خمسة أو ستة أوراق وذلك بما يتناسب مع كبر وكثرة همومك • وإن لم تكف ستة أطباق خذ عشرة •• خذ كل ما تحتاجه وذلك بما يتناسب مع همومك •

ــ وما هي هذه الأوراق ؟

ــ الورق العادي الذي نستخدمه للكتابة •• خذ هذه الأوراق وارسم خطاً في منتصف الصفحة من الأعلى إلى الأسفل •

ــ ولماذا هذا الخط ؟

ــ ستقسم الصفحة إلى قسمين متطابقين ، وبعد ذلك سترسم خطاً في منتصف القسم الأيمن من الأعلى إلى الأسفل بحيث يقسم معك إلى قسمين متطابقين • ومن جديد سيصبح لديك ورقة مؤلفة من ثلاثة حقول •••

ــ جيد وبعد ذلك ؟

ــ بعد ذلك •• ستكتب بخط واضح « أسماء همومي » في رأس الصفحة إلى اليسار ، أي في رأس القسم الأول من الصفحة ، إحذر يجب أن يكون خطك واضحاً جداً وإذا كان غير ذلك فينصح بالكتابة بأحرف الطباعة • أي الأحرف التي في الكتب •• هل فهمت ؟•••

ــ فهمت ••

ـ وفي الحقل الأوسط ستكتب « نـوع همومي » • وفي رأس الحقل الأيمن ستكتب « مقدار همومي » ••

••• هل كتبت ؟!•• جيد إبدأ الكتابة ••

ـ ماذا سأكتب ؟!

ـ يا أخي ، ألا يوجد لديك هموم ؟! اكتب همومك ••

ـ من أي الهموم سأبدأ ؟••

ـ ليست هناك أية أهمية للتسلسل ، إبدأ بالهم الذي يخطر بذهنك •• بالنسبة لي بدأت (بالكندرة) التي سأحضرها لولدي•

اسم الهم : مصروف البيت • أنواع الهم : كندرة للولد • مقدار الهم ١٩٠ ليرة ، وتحتها كتبت إيجار البيت وديون السمان •• وتصليح الصنبور •

ـ هل تعني أن كل همومك مادية ؟••

ـ كلا يا حبيبي ، لديّ أيضاً هموم غير ماديـة •• هموم الوظيفة مثلاً •• الله يقصف عمر المدير الذي رفض إعطائي إجازة مرضية مدتها خمسة عشر يوماً قدمتها له بعـد انتهاء إجازاتي السنوية • وكذلك هناك هموم المدينة : الماء والكهرباء •• ورصف شارعنا ، ومن ثم هناك هموم البلد •• وهموم الدنيا •• الهموم كثيرة •••

ـ جيد •• وكيف يحسب مقدار هذه الهموم ؟•

ـ هذه الهموم لا تحسب بالنقود ولذلك أعطيت لها أرقاماً من (١ إلى ١٠) وهكذا كما ترى الهموم الكبيرة جـداً أعطيتها

الرقم عشرة والهموم الصغيرة جداً أعطيتها الرقم واحد وهكذا . كتبت أسماء همومي ونوع همومي ومقدار همومي . بالنسبة لي لقد كتبتها على اثنتي عشرة طبقة ورق ولا أعرف كم طبقة تحتاج همومك ...

ـ وبعد ذلك .

ـ بعد ذلك يا سيدي ، هل كتبت كل همومك ؟!.. جيد ولكن هنا يجب أن تكون حذراً .. عليك أن تفكر جيداً بحيث لا تنسى أي هم من همومك مهما كان صغيراً أو كبيراً .. أما إذا نسيت أي هم حتى ولو كان صغيراً، سأقول لك ـ وبكل أسف ـ إن سعادتك فسدت وضاعت كل جهودك هباءً منثوراً .

بعد أن تكتب كل الهموم ، سترسم خطاً في الأسفل ، وتكتب المجموع ، وتبـدأ حسابك من الأعلى إلى الأسفل ، وبعد ذلك يا سيدي ستحصل عـلى أسماء همومك وأنواعها ومقدارها .. إحذر هنا أيضاً .. فإن حصل أي خطأ مهما كان صغيراً ستفسد سعادتك .

بعد أن تقـوم بهذه الأعمال .. ستضع أطباق الورق فوق بعضها البعض ... انتبه إلى زوايا الأوراق يجب أن تكون مطابقة لبعضها وبعد ذلك إطوِ الأوراق في المنتصف .. ضـع إحدى يديك على القسم الأسفل من الطية ، وامسك به جيداً ، ويدك الأخرى على الطية العليا ، امسكها بقوة ، والآن اسحب يديك باتجاهين متعاكسين ستتمزق وتسمع صوت (ج ر ر ط) وبعد

ذلك اضحك •• مزق الأوراق واضحك •• فرق •• اضحك ••• وكلما كان صوت الـ (جر ر ر ط) قوياً ازدادت سعادتك •• مزق •• اضحك ••• أووه لقد أنقذت نفسك من الهموم •

أما إذا كانت همومك كثيرة ولا تسعها عشرة أوراق يجب أن تزيد عدد الأوراق • ولكن هنا توجد مشكلة وهي أنّ تمزيق الأوراق سيكون صعباً غير أني وجدت تسهيلاً لذلك ••• يجب أن تختار أوراقاً رقيقة، ثم اكتب عليها••وفي هذه الحالة ستسمع صوت (جير ر ر ت) بدلاً من (ج ر ر ط) •

ها أنذا أمامك ولو لم أفعل هذا وأجربه على نفسي لكنت انفجرت وقرأت عن دخولي إلى مشفى الأمراض العقلية في الصحف •••

كيف تكتب مقالة ؟

يوجد سلسلة كتب عند الغربيين، وكل كتاب من هذه السلسلة مخصص لعملٍ ما ، يعرّف به ويشرح كيفية القيام به وهذه الكتب تُعنى بإعطاء معلومات قيّمة وذلك بإشراف مختصين من الكتّاب العظماء • تبدأ هذه السلسلة من كيفية صناعة البللور والورق وحتى حروب الحرية وتاريخ الديمقراطية • وهي مكتوبة بلغة سهلة سلسة ، وذلك ليفهمها أكبر قدر ممكن من الناس • أما بالنسبة لي ، فالذي ألهمني كتابة هذه المقالة هي تلك السلسلة •

كيف تُكتب المقالة الصحفية ؟!

أعرف أن موضوعاً كهذا لا يمكن أن تتسع له صفحات قليلة كهذه ، بل يحتاج إلى عدة مجلدات • ومع ذلك سأحاول أن أوجز لكم ما أراه كافياً ومفيداً ويفي بالحاجة •

كيف تكتب مقالة ؟! أدرك تماماً أنكم ستحدثون أنفسكم قائلين : « كتابة المقالة أمر سهل جداً •• تأتي الفكرة إلى عقلك فتمسك قلماً وورقة وتبدأ بالكتابة » •

لا يمكن أن تكون كتابة المقالة سهلة إلى هذه الدرجة التي تظنونها •••

اسمعوا •• الآن سأشرح لكم كيف أكتب المقالة وأقدمها إلى

الصحيفة دون كذب أو تزوير •• أقرأ الصحف كل صباح ، ومن الطبيعي جداً أن تثار أعصابي كما تثار أعصاب كل قراء الصحف • أكتب القضايا الأكثر إثارة لأعصابي وأضعها جانباً • وبهذه الطريقة أجمع كل يوم حوالي عشرة أو خمسة عشر موضوعاً وأضيفها إلى الموضوعات التي تراكمت لدي من الأيـام السابقة وهي تقدر بحوالي الأربعين موضوعاً •

وفي النهاية أختار الموضوع الذي يسبب أقل الضرر للصحيفة ولصاحبها ولي شخصياً • وبدون أن أمس أصحاب المناصب •

ولكن لا ينتهي عملي هنا لأن زوجتي تنتظرني خلف الباب فتقول لي :

ــ هل أستطيع أن أقرأ المقالة التي كتبتها ؟••

لو قلت لها اقرئيها أو لا تقرئيها في كلتا الحالتين لن أستطيع أن أنقذ نفسي ، في أغلب الحالات أخبىء مقالاتي أو أهربها من طريق زوجتي • ولكنها تجد طريقة وتقرؤها • وبعد ذلك تسند خصرها بيديها وتقول :

ــ إذا كنت لا تفكر بنفسك ، على الأقل فكّر بأولادك •

ــ ماذا هناك ؟!••

ــ وماذا تريد أكثر مما كتبت ؟ في زمن كهذا كيف تكتب مثل هذا الكلام ؟!••

ــ جيد •• وماذا سأفعل ؟••

في البداية تهز المقالة بيدها وهي تقول : احذف هذه من هنا وتلك من هناك • وبعد ذلك تقول بدّل هذه واكتب تلك •

وبما أني لا أقصد من المقالة الظهور بمظهر الشجعان لذا فإنني أفعل ما تقوله زوجتي لي ...

وبعد ذلك يأتي ولدي واضعاً يديه حول خصره وهو يقول :

ـ بابا ...

ـ ماذا هناك ؟..

ـ أنت كتبت ....

ـ ماذا كتبت ؟...

ـ كنت قاسياً بعض الشيء .

ـ ماذا سأفعل أوشك الولد على البكاء ..

ـ احذف الجملة الأخيرة يا أبي ..

ـ يا بني إن الجملة الأخيرة هي روح المقالة .

ـ ليكن ، احذف روح المقالة .

أحذفها ولكن هذه المرة تأتي ابنتي وتقول :

ـ بابا ...

ـ ماذا هناك ؟..

ـ لو غيرت الجملة الأولى من المقالة .

ـ ماذا !!.. غيرت ماذا ؟!!

ـ احذفها ...

لا تظنوا أن العمل انتهى عند هذا الحد . عندي جار عزيز وغالٍ على قلبي .. كان يعمل في القصر العدلي .. لاشك بأن زوجتي أو أحد أولادي سيركض إليه قائلاً :

ـ يا إلهي .. كتب والدي مقالة خطيرة من جديد .

يأتي الرجل إلينا ويقول محاولاً عدم إثارة الجدل بيننا :

ــ إي ي ي ... أقرئنا .. ماذا كتبت اليوم ؟..

ــ أعطيه المقالة .. فيقرؤها مصلحاً من وضعية نظارته عدة مرات وهو يسعل ، وبعد ذلك يخرج قانون العقوبات من جيبه اليسرى ، وقانون الطباعة والنشر من جيبه اليمنى ، ويقول :

ــ انظر ، هل ترى هذه الجملة ؟!

ــ نعـــم ...

ــ انظر ، هذا ما يتعلق بها من قانون العقوبات حيث تبدأ عقوبتها من السجن ولمدة عام ... (وتحذف الجملة) .

ــ انظر ، هل ترى معي هذه الجملة ؟!

ــ نعـــم ...

ــ وهذه أيضاً مكانها هنا في قانون الطباعة والنشر تبـــدأ عقوبتها من العامين ... (وتحذف هذه الجملة أيضاً) .

ويخرج جارنا العجوز من جيب سترته الداخلية القانون المدني وقانون الغابات ..

ــ انظر هنا أيضاً .

هنا أيضاً نحذفها .

ومع ذلك كل هذه الصعوبات سهلة أمام الصعوبات التي تأتيني من والدي ، وعلى الأخص أنه لا يساره موجودة ولا يمينه .

يتصل بي هاتفياً طالباً مني الحضور إليه فوراً ، وأذهب إليه فيقابلني قائلاً :

ـ ماذا كتبت اليوم ؟ أعطني لأرى ..

أعطيه المقالة ، فيباشرني بالقول :

ـ لقد تجاوزت سن الأربعين ، متى ستصبح رجلاً ؟

إذا انتهى لقاؤنا عند هذا الحد أكون من المحظوظين .

بعد ذلك يأخذ قلمه ويبدأ بالحذف من هنا ومن هناك .. وهو يقول :

ـ احذف هذه العبارات .

يعلم الله أني أخاف من والدي أكثر مما أخاف من قانون العقوبات .. وقانون الصحافة .. ولهذا أحذف كل العبارات التي وضع تحتها خط ، وبعد ذلك أذهب إلى الصحيفة .. وأعطيهم البقية الباقية من المقال .

هل تظنون أن العمل انتهى عند هذا الحد ؟! من أين ياحسرة ؟

يقرأ صاحب الصحيفة المقال ويقول :

ـ ألن تستطع أن تكتب بلينٍ أكثر من ذلك ؟!

ـ فأقول له :

ـ يا إلهي .. إنها مقالة ألين من الراحة .. ألين من هذه تصبح (رخوة) .

فيقول : لِمَ لا تحذف هذه ؟

ـ لنحذفها ...

ـ هل نغير هذه ؟

ـ لنغيرها ...

هل أصبح كل شيء على ما يرام ؟ من أين يا حسرة ؟ لو كانت الكتابة سهلة إلى هذه الدرجة لكان كل إنسان أصبح كاتباً .

والآن يأتي دور رئيس التحرير .

ـ لِمَ لا تلين هذه الكلمة أكثر ؟

ـ نلينها .. ولكن لم تترك كلمة لينة ورقيقة في اللغة التركية لم نستعملها.. ونبحث مع بعضنا عن أرق الكلمات وألينها ونضعها في المقالة .

ـ هذه الكلمة تُفهم على أساس أنها كذا ، لِمَ لا تكتب بدلاً منها مذا ؟

ـ لنكتب ...

ـ عفواً ، وهذه النقطة أيضاً ..

ـ لنبدلها أيضاً ..

آه يا سادة آه .. تظنون أن العمل انتهى أليس كذلك ؟!

بعد ساعة يرن الهاتف :

ـ حسن بيك ...

ـ نعـــم ..

ـ ذكرت في مقالتك اسم رجل يُدعى علي بيك .

ـ نعـــم ..

ـ إنه فلان يعمل كذا ..

ـ ماذا نفعل ؟!..

ـ احذفه واكتب بدلاً منه مصطا بيك .

ـ يا إلهي ، إن مصطا بيك كذا في كذا .

ـ احذفه واترك مكانه فراغ •••

ـ حسن بيك ••

ـ تفضّل •••

لقد ذكرت في مقالتك (••••) ونحن فهمنا على أنها إعلان عن شيء ما •

ـ إن كنتم تفهمونه كذا ، امسحوه أيضاً •

قصقصنا أجنحة المقـالة وتتفنا ريشها حتى أصبحت كفرخ العصفور •••

يا ســادتي القراء ••• في اليـوم التالي ستنشر المقـالة في الصحيفة • وأنتم تقرؤون هذه المقالة على أنها مقالة فعلاً • وإذا انتهيت عند حد قراءتها يكون حظنا من السماء لأنكم بعد قراءتها ستضحكون أيضاً ، فعلاً ألا تضحك مقالة كهذه ؟! حتى أنـا أضحك عليهـا ••• وكيف لا نضحك وأنتم ستجدون في اليوم التالي مقالة نشرت لتكذيب ما جاء في مقالتي ؟!••

تعال الآن وامنع نفسك من الضحك إن أردت •••

حبيبتي

أدرك تماماً أنهالا تحبني •• لكنني لا أستطيع أن أحب •• أن أعمل •• أن أفعل أي شيء بدونها • إن الذي بيني وبينها ربما يكون أكثر من المحبة ، لأنه قد أخذ شكل عادة لا يمكن الرجوع عنها •• لا أطيق البعد عنها أكثر من خمس دقائق • لا أعرف كنه هذه المحبة ولا تفسير هذه العادة التي تملكتني • حتى في الليل لا تفارقني إذ أنها تدخل إلى أحلامي وتعشعش فيها •

لا أتذكر نفسي إلا معها • ولكن عليّ أن أعترف بأنني لم أكن أعرفها في سنواتي الأولى ••

أذكر تماماً يوم التقينا •• كان ذلك في كازينو عندما عرفني بها أحد الأصدقاء ، وأنا لم أدخل عامي العشرين بعد •

ومنذ تلك اللحظة إلى الآن لم تفارقني • مر على تعارفنا أكثر من اثنين وعشرين عاماً • وكل يوم يزداد تعلقي بها أكثر •• غير طبيعي هذا التعلق الذي ألمّ بي •

حبيبتي بيضاء •• نحيفة القدّ طويلة • عندما أفارقها تبقى رائحتها عالقة بأنفي •• يا لرائحتها الرائعة الذكية •• عندما أقبلها ويسترسل شعرها الأشقر الطويل ويتطاير •• عندئذٍ •• عندئذٍ فقط أحس بكياني وبوجودي في هذه الدنيا •• أمريكية الأصل •

حبيبتي أتت من أمريكا •• لا أستطيع أن آخذ بديلاً عنها أية واحــدة حتى لوكانت سمراء أو شقراء •• حبيبتي تحب الفتنة ولا تحب الحقد ولكني ودون النظر إلى سيئاتها الكثيرة •• أحبها بجنون ••

تقدم نفسها لمن يريد وتتمشى معه يــداً بيد • ولكني مع الأسف لم أستطع أن أجعلها من أملاكي الشخصية الخاصة ، فهي لم تزل مشتركة يقاسمني عليها أغلب الناس •

عندما التقت شفاهي بشفاهها في المرة الأولى أحسست بأني كبرت ، أصابني دوار وتركتني مع خيال من دخان وذهبت •

والآن •• يحصــل العكس تمامــاً فالدوار يصيبني عندما تفارقني ، تسودّ الدنيا في عيني ولا أستطيع القيام بأي عمل من دونها • فأنــا لا أذكر أنني تعلقت بشيء في هذه الدنيــا كما تعلقت بها •

استخدمت كل إرادتي لكي أبتعــد عنهــا ولكن باءت كل محاولاتي بالفشل ، علمــاً بأني عشقت غيرها أكثــر من مرّة ، واستطعت أن أتركهن جميعهن ••• إنني متعلق بها كثيراً •• ومع كل نفسٍ أسحبه أتعلق بها أكثر • وكلما غرقت بحبها أكثر زاد ظلمها لي •• سأعترف لكم بأني ذقت ألوان العذاب من جــراء حبي لها لأنها محشوة بالشر •

حبيبتي تحب النقود كثيراً •• لقد أكلت الكثير من نقودي ولم تكتفِ ، وأكلت من نقود الآخرين ولم ترتوِ • لقد حولت نقود البعض وثرواتهم إلى رماد ودخان يتطاير في السماء ، لقد

أكلت الملايين ، لا يمكن أن تصدق أن هذه أفعالها عندما تراها •

إن النقود التي أعطيتها لها كان يمكن أن تكوّن لي ثروة طائلة ••••

تقترب من الجميع دون تمييز ، فلا يهمها الجمال أو القبح ، يكفي أن تشم رائحة النقود بجيبك حتى تأتيك على جناح السرعة •• حبيبتي كونية عالمية فلها في كل قومية وفي كل عرق وفي كل طبقة أصدقاء وأحباء •• قد ترى أحياناً وهي تمصّ شفاه مليونير وأحياناً شفاه متسول فقير • وأحياناً تجدها بين يدي مراهق •• لا تندهشوا من رؤيتها في كل مكان فهي خلقت كي تقدم اللذة إلى كل شخص • لا تفرق بين مسلم ومسيحي • يكفي أن تدفع ثمنها حتى ترى جسدها بين يديك • وكلما تقدمت في السن تظهر آثارها على جسدي • كنت كالقلعة في يوم من الأيام ولكن لم أعتقد بأني سأتعلق بها كل هذا التعلق •

في الحقيقة كنت سأرضى لو أنها لم تأخذ مني سوى نقودي ، ولكن ضررها أصاب جسدي مثلما أصاب روحي• بسببها انقطعت شهيتي عن الطعام • اصفر وجهي ، وضعف قلبي ، وخارت قواي ، وأعتقد أن رئتيّ لا تتمتعان بصحة جيدة •• لا أستطيع أن أمشي طويلاً لأني أشعر بالتعب الشديد عندما أصعد سلماً أو أركض قليلاً •• أدرك كل هذا ، ومع ذلك فإن حبها ووجودها شغل روحي ودمي وأعصابي ولا أعرف طعماً للحياة بدونها •

هذه هي حالتي مع هذه السيكارة التي لم أستطع الابتعاد عنها بأي شكل من الأشكال •••

الفهرس




STOCKHOLMS STAD